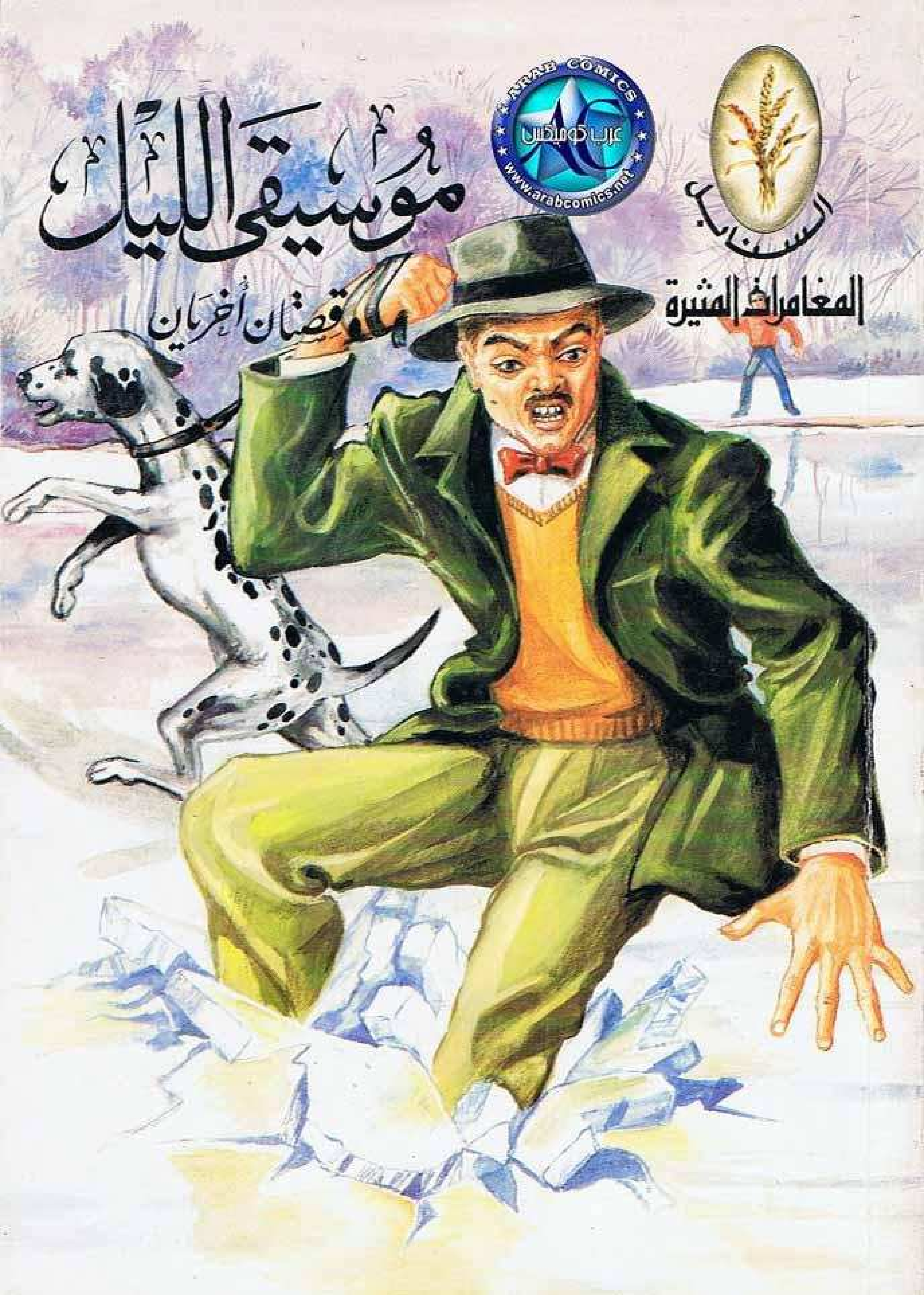

السنابل
المغامرات المثيرة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
موسيقى الليل
وقصتان أخريان



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٧٤ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٧٤ - ٥

طبع في دار نوبار للطباعة



موسيقى الليل

وقصتان أخريان



تأليف : جون إسكوت

أعدها بالعربية : محمد فوزي موسى

رسوم : محمد نبيل عبد العزيز

مكتبة لبنان

موسيقى الليل

كاثي فتاةٌ تَعيشُ في المَدينةِ وتَعمَلُ بِها ، ولَدَيها سيارَةٌ صَغيرَةٌ تَرْكَبُها إلى مَكْتَبِها كُلَّ يَومٍ . وذاتَ يَومٍ قالَتْ لِنَفْسِها : « سَوفَ أذْهَبُ بِسَيّارَتي إلى الرّيفِ عِنْدَ حُلولِ إجازَتي الصَّيفيّةِ خلالَ شَهْرِ يوليه (تمّوز) ، وَسَوْفَ أتزوّدُ بِكُلّ ما تَحْتاجُهُ رِحْلَتي الخَلَويّةُ ، وَسأعَسْكِرُ في الأماكِنِ الجَيّدَةِ الّتي تَصْلُحُ لِهذا الغَرَضِ .»

وَأقْبَلَ شَهْرُ يوليه فَبَدأتْ كاثي رِحْلَتَها مُتَّجِهَةً بِسَيّارَتِها إلى الرّيفِ. وكانَتِ السَّماءُ زَرْقاءَ ، وَالأشْجارُ وَالحَشائشُ خَضْراءَ ، وَالطَّقْسُ لَطيفاً ، وَكانَ مُخْتَلِفاً تَماماً عَنْ طَقْسِ المَدينَةِ ؛ فَراحَتْ تَتوَغَّلُ في الرّيفِ .

هَمَسَتْ كاثي لِنَفسِها : « ما أجْمَلَ اليَومَ ! وَما أجْمَلَ العُطْلَةَ ! وَلكِنْ يَجِبُ أنْ أعْثُرَ في التَّوِّ على مَكانٍ يَصْلُحُ لِلمُعَسْكَرِ؛

يَجِبُ أنْ أنْصِبَ خيمَتي في وَضَحِ النَّهارِ .» وَ وَجَدَتْ حَقْلاً خَلْفَ قَصْرٍ عَتيقٍ ، وَكانَ مَكاناً مُناسِباً فَأقامَتْ خيمَتَها فيهِ . وأخْرَجَتْ كيسَ النَّومِ مِنَ السَّيّارَةِ ، وَقالَتْ لِنَفْسِها : « سَوْفَ أسْتَمْتِعُ بِنَومٍ هادئٍ اللَّيلَةَ .» وَلكِنَّها لَمْ تَنْعَمْ بِنَومٍ هادئٍ ؛ إذِ اسْتَيقَظَتْ في مُنْتَصَفِ اللّيلِ عَلى صَوتِ موسيقى ، فَتَساءَلَتْ في دَهْشَةٍ : « ما هذا الصَّوتُ ؟ إنّي أسْمَعُ عَزْفَ موسيقى .. موسيقى أرْغُنٍ !»

خَرَجَتْ كاثي مِنْ كيسِ النَّومِ ثُمَّ مِنَ الخَيمَةِ . وَكانَ القَمَرُ بَدْراً فَاسْتَطاعَتْ أنْ تَرى في نورِهِ القَصْرَ العَتيقَ عَبْرَ الحَقْلِ .

قالَتْ لِنَفْسِها : « الموسيقى تَنْبَعِثُ مِنْ هُناكَ . تُرى مَنِ الّذي يَعْزِفُ عَلى الأرْغُنِ في مُنْتَصَفِ اللّيْلِ ؟» وَعَبَرَتِ الحَقْلَ إلى القَصْرِ ، وَكانَ ذا بُرْجٍ عالٍ تَهَدَّمَ مِنْهُ جُزْءٌ .

قالَتْ : « أنا لَسْتُ خائِفَةً ، وَلكِنَّ الموسيقى صاخِبَةٌ ، والقَصْرُ قَديمٌ جِدًّا .»

بَلَغَتْ كاثي القَصْرَ ، فَدَفَعَتْ بابَهُ الكَبيرَ وَ وَلَجَتْ ، فَتَوَقَّفَتِ الموسيقى . وَأضاءَ نورُ القَمَرِ القَصْرَ ، فَرَأتِ الأرْغُنَ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أحَدٌ بِجانِبِ الأرْغُنِ ، وَلا في القَصْرِ .

قالَتْ لِنَفْسِها : « لا أفْهَمُ شَيْئاً .» ثُمَّ قَفَلَتْ عائِدَةً عَبْرَ الحَقْلِ ،

وَلَمْ تَستَطِعِ النَّومَ ثانيةً تِلكَ اللَّيْلَةَ .

* * *

اسْتيقَظَتْ كاثي في وَقْتٍ جِدِّ مُبكِّرٍ ، وَتَطَلَّعَتْ بِبَصرِها إلى القَصرِ ، وَقالَتْ لِنَفسِها مُتَعجِّبَةً : « تُرى هَلْ سَمِعْتُ حَقيقَةً عَزفَ موسيقى أثناءَ اللَّيْلِ ؟ أ كانَ هذا حُلْماً ؟ »

يَقومُ القَصْرُ فَوقَ تَلٍّ تَقَعُ في سَفْحِهِ بَعْضُ المَنازِلِ وَالمَحلّاتِ كَتِلْكَ الّتي توجَدُ في مِثْلِ تِلكَ القُرى الهادِئَةِ ، وَكانَ ثَمَّةَ مَحَلٌّ واحِدٌ مَفْتوحٌ .

قالَتْ كاثي : « يُعْوِزُني بَعْضُ اللَّبَنِ ، فَرُبَّما أجِدُهُ هُنا . »

واتَّجَهَتْ صَوْبَ المَحَلِّ ، فاسْتَقْبَلَتْها البائِعَةُ مُرَحِّبَةً : « طابَ صَباحُكِ . لَقَدِ اسْتَيقَظْتِ مُبَكِّرَةً . »

قالَتْ كاثي : « إنّي أُعَسكِرُ هُنا ، وَقَدِ استيقَظْتُ مُبكِّراً . »

سأَلَتْها المَرْأَةُ : « ماذا أسْتَطيعُ أنْ أبيعَكِ ؟ »

أجابَتْ كاثي : « بَعْضَ اللَّبَنِ مِنْ فَضْلِكِ . » وأضافَتْ : « لَدَيْكُمْ هُنا قَصرٌ رائِعٌ . »

نَظَرَتِ المَرْأَةُ إلَيها نَظْرَةً غَريبَةً ، وَسأَلَتْها : « هَلْ دَخَلْتِ القَصْرَ ؟ إنَّ بابَهُ مُغْلَقٌ مُعظَمَ الأوْقاتِ . »

رَدَّتْ كاثي : « لَمْ يَكُنْ مُغْلَقاً اللَّيلَةَ الماضيَةَ . »

قالَتِ المَرْأَةُ : « اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ! لِماذا ذَهَبْتِ إلى القَصْرِ اللَّيْلَةَ الماضيَةَ ؟ »

أجابَتْ كاثي : « لَقَدْ سَمِعْتُ موسيقى الأرْغُنِ تَنْبَعِثُ مِنْهُ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . »

نَظَرَتْ إلَيها المَرْأَةُ نَظْرَةً ثانيَةً غَريبَةً وَقالَتْ : « إنَّ أرْغُنَ القَصْرِ مُحَطَّمٌ ، وَلا أحَدَ يَسْتَطيعُ العَزْفَ عَلَيهِ ! »

قالَتْ كاثي : « آهٍ ! مِنَ المُحْتَمَلِ أنّي كُنْتُ أحْلُمُ . »

أوْمأتِ المَرْأَةُ بِرأسِها قائِلَةً وَهِيَ تَبْتَسِمُ : « نَعَمْ ، مِنَ المُؤكَّدِ أنّكِ كُنْتِ تَحْلُمينَ . »

تَساءَلَتْ كاثي في دَهْشَةٍ : « لِماذا تَبْتَسِمُ الآنَ ؟ »

وَخَرَجَتْ كاثي إلى الشّارِعِ وَمَعَها اللَّبَنُ ، وَصَعِدَتِ التَّلَّ ثُمَّ اتَّجَهَتْ إلى بابِ القَصْرِ ، وَلكِنَّهُ كانَ مُغْلَقاً .

وَفَجْأةً انْبَعَثَ صَوتٌ خَلْفَها يَقولُ : « ماذا تُريدينَ ؟ »

اسْتَدارَتْ كاثي ، فَرَأَتْ رَجُلاً عَجوزاً يَقِفُ خَلْفَها .

سَأَلَتْهُ : « مَنْ أنْتَ ؟ »

رَدَّ الرَّجُلُ : « ألبرت بيرلي . إنَّ البابَ مُغْلَقٌ ، لأنَّ البَعْض سَرَقَ أشياءَ مِنَ القَصْرِ ؛ لذا البابُ مُغْلَقٌ دائِماً .»

قالَتْ كاثي : « لَمْ يَكُنْ مُغْلَقًا اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ .»

سألها بيرلي وَهُوَ يَنْظُرُ إليها نَظْرَةً غَريبَةً : « ماذا تَقولين ؟»

قالَتْ : « لَقَدْ أتيتُ إلى هُنا . إنّي ، إنّي سَمِعْتُ عَزْفَ موسيقى أرْغُنٍ ، وَكانَتْ موسيقى صاخِبَةً أيْقَظَتْني ؛ فَجِئْتُ صَوْبَ القَصْرِ وَلَمْ يَكُنِ البابُ مُغْلَقًا ، وَلَمْ أجِدْ أحَداً ، ثُمَّ تَوَقَّفَ العَزْفُ .»

لَمْ يُعَلِّقْ بيرلي لِلَحْظَةٍ .

قالَتْ كاثي لِنَفْسِها : « لَمْ تَبْدُ عليهِ الدَّهْشَةُ .»

في النِّهايَةِ قالَ : « هَلْ هذِهِ الخَيمَةُ الَّتي في الحَقْلِ خَيمَتُكِ ؟»

رَدَّتْ كاثي : « أجَلْ ، فأنا في إجازَةٍ .»

سألها بيرلي : « هَلْ ستَمكُثينَ هُنا ؟»

أجابَتْ : « لا أعْرِفُ .»

أوْمأ بيرلي بِرأسِهِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ ثانِيَةً ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

قالَتْ كاثي لِنَفْسِها : « رَغْمَ أنَّهُ يَعْرِفُ القَصْرَ ، وَمَعَ ذلِكَ لَمْ يُخْبِرْني عَنِ الأرْغُنِ المَكْسورِ ؛ إنّي أعْجَبُ لِهذا .» ثُمَّ قَفَلَتْ عائِدَةً

إلى خَيمَتِها .

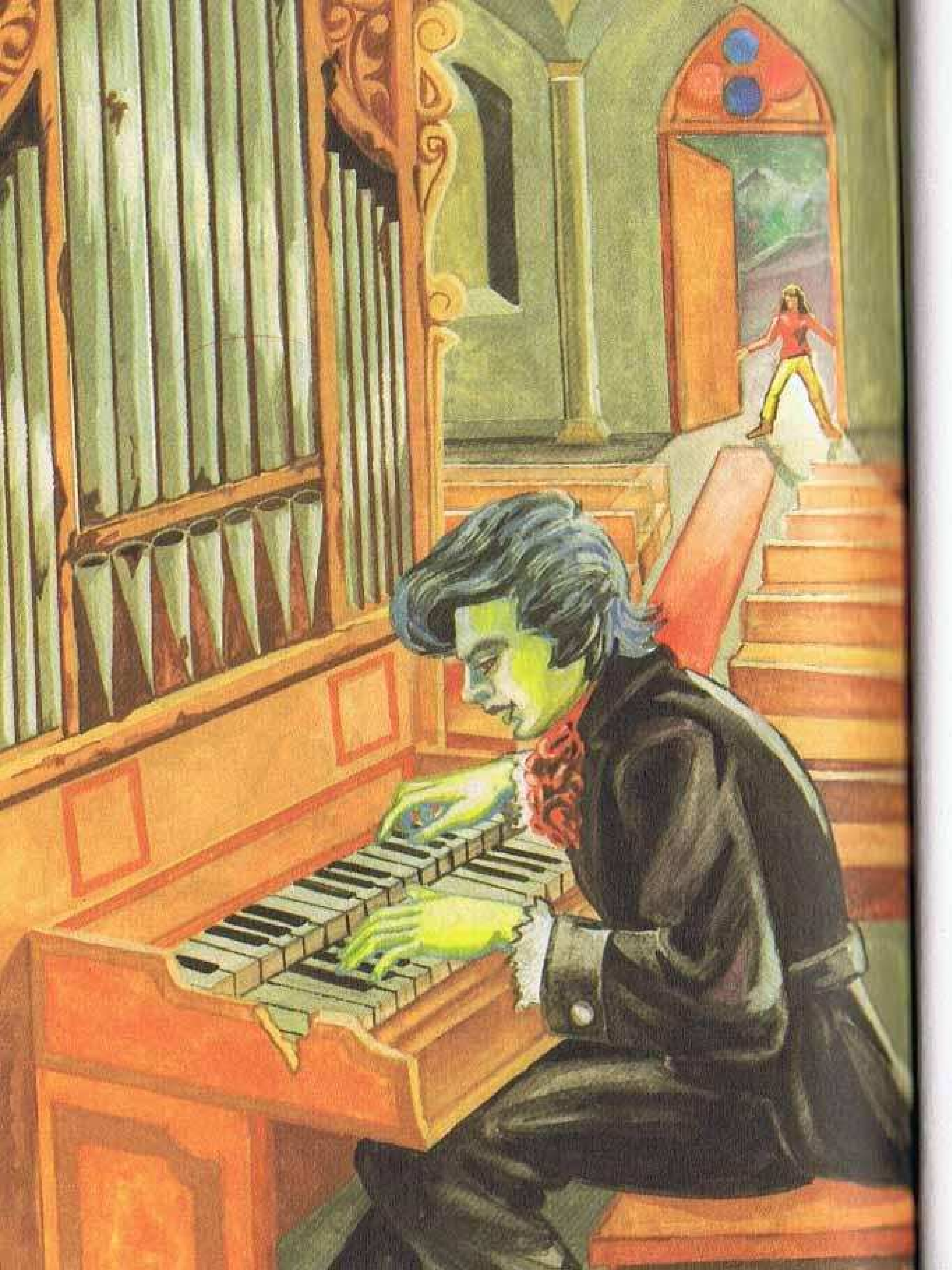
* * *

كانَ النَّهارُ حارًّا ، وَتَجَوَّلَتْ خِلالَهُ كاثي في الأزِقَّةِ الضَّيِّقَةِ وفي الحُقولِ . وَكانَ النَّاسُ يَلْقَوْنَها مُرَحِّبينَ مُبْتَسِمينَ . وَفي المَساءِ جَلَسَتْ بِجانِبِ خَيمَتِها ، وَرَدَّدَتْ لِنَفْسِها : « إنَّ هذا المَكانَ يَطيبُ لي ، فَهُوَ جَميلٌ وَهادِئٌ .» وَلَمْ تُفَكِّرْ في موسيقى الأرْغُنِ أو في القَصْرِ العَتيقِ الغَريبِ بِبابِهِ المُغْلَقِ ؛ فَلَمْ تَكُنْ راغِبَةً في التَّفكيرِ فيهِ .

وَفي مُنْتَصَفِ اللَّيلِ اسْتَيقَظَتْ كاثي ثانِيَةً عَلى صَوْتِ موسيقى الأرْغُنِ يَشُقُّ الهُدوءَ الَّذي كانَتْ تَنعَمُ بِهِ . وَلَبِثَتْ مُطْرِقَةً تَماماً لِوَقْتٍ طَويلٍ ، وَلَمْ تَرْغَبْ في مُغادَرَةِ كيسِ النَّومِ ، والذَّهابِ إلى القَصْرِ .

تَساءَلَتْ بِدَهْشَةٍ : « وَلكِنْ مَنْ يَكونُ هذا ؟ يَجِبُ أنْ أعْرِفَ .» وَذَهَبَتْ عَبْرَ الحَقْلِ صَوْبَ بابِ القَصْرِ . وَكانَتِ الموسيقى صاخِبَةً ، فَتَساءَلَتْ : « تُرى هَلْ يَسْمَعونَ هذا الصَّوتَ في القَرْيَةِ .» وَلَمْ يَكُنِ البابُ مُغْلَقًا ، فَدَلَفَتْ كاثي مِنْهُ . وأضاءَ نورُ القَمَرِ القَصْرَ مَرَّةً أخْرى . وَفَجأةً تَوَقَّفَتِ الموسيقى .

قالَتْ كاثي : « إنّي أسْتَطيعُ رُؤيَةَ الأرْغُنِ . إنّي أسْتَطيعُ أنْ أرى ... آهِ !»



كانَ ثَمَّةَ شابٌّ بِجانِبِ الأَرْغُنِ ، وَكانَ جالِساً على المَقْعدِ ، وَيَداهُ على الأَرْغُنِ ، وَاسْتَدارَ فَجْأَةً وَرَأَتْ كاثي وَجْهَهُ .

صاحَتْ كاثي : « مَنْ ؟»

وَلكِنَّ الشَّابَّ لَمْ يَعُدْ مَوْجوداً ، فَقَدِ اخْتَفى .

قالَتْ كاثي لِنَفْسِها : « لَقَدْ رَحَلَ ! لَقَدْ كانَ هُناكَ ! أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ هَلْ كانَ هذا حُلْماً أَيْضاً ؟» وأَدارَتْ عَيْنَيْها ، وَلكِنَّ القَصْرَ كانَ خالِياً ، فَخَرَجَتْ ثانِيَةً وأَغْلَقَتِ البابَ . وراحَتْ تَبْتَعِدُ ، وَلكِنَّها عادَتْ وحاوَلَتْ فَتْحَ البابِ ، وَلكِنَّهُ كانَ مُغْلَقاً ، فَرَجَعَتْ عَدْواً إلى خَيْمَتِها .

* * *

في صَباحِ اليَوْمِ التَّالي ، كانَ الرَّجُلُ العَجوزُ بيرلي يَقِفُ بِجُوارِ القَصْرِ ، فَقابَلَتْهُ كاثي في طَريقِها وَهِيَ عائِدَةٌ مِنَ القَرْيَةِ .

قالَتْ مُحَيِّيَةً : « طابَ صَباحُكَ ، يا سَيِّدُ بيرلي .» وَرَدَّ عَلَيْها التَّحِيَّةَ .

سَأَلَتْهُ كاثي بِفُضولٍ : « مَنْ ذلِكَ الشَّابُّ الَّذي كانَ يَعْزِفُ عَلى الأَرْغُنِ ؟»

قالَ بيرلي دونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْها : « شابٌّ ؟ أَيَّ شابٍّ تَقْصِدينَ ؟»

قالَتْ كاثي : « إنَّهُ ذو شَعْرٍ أسْوَدَ ، ويَرْتَدي حُلَّةً سَوْداءَ .»

نَظَرَ إلَيْها بيرلي وَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ . وَرَأتْ كاثي شُحوبَهُ فَقالَتْ لِنَفْسِها : « إنَّهُ مُرْتَعِبٌ !»

سَألَها بيرلي مُسْتَفْسِراً : « ماذا تَعْرِفينَ عَنْهُ ؟ ماذا تَعْرِفينَ عَنِ السَّيِّدِ هايني ؟»

سَألَتْهُ كاثي : « هَلْ هذا اسْمُهُ ؟ هَلْ يَعْزِفُ على الأرْغُنِ ؟»

أجابَ بيرلي : « فِعْلاً ، إنَّهُ يَعْزِفُ عَلَيْهِ مُنْذُ سبعينَ سَنَةً .»

سَألَتْهُ كاثي : « مُنْذُ سَبْعينَ سَنَةً ؟ وَأيْنَ هُوَ الآنَ ؟»

أجابَ : « الآنَ ؟ لَقَدْ ماتَ مُنْذُ سبعينَ سَنَةً . لَقَدْ قَضى نَحْبَهُ بَعْدَ الزِّفافِ .»

سَألَتْهُ كاثي : « أيُّ زِفافٍ ؟»

رَدَّ بيرلي : « زِفافُ فَتاةٍ مِنَ القَرْيَةِ ؛ فَقَدْ كانَتْ تُريدُ الاقْتِرانَ بِالسَّيِّدِ هايني ، وَكانَ يُسْعِدُها أنْ تَكونَ زَوْجَتَهُ ، وَلكِنَّ أباها رَفَضَ رَفْضاً قاطِعاً ، مُفَضِّلاً عَلَيْهِ رَجُلاً آخَرَ ، وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ تُحِبُّ ذلِكَ الرَّجُلَ ؛ فَأُجْبِرَتْ على زَواجِهِ .»

سَألَتْهُ كاثي: « هَلْ عَزَفَ السَّيِّدُ هايني على الأرْغُنِ في حَفْلِ العُرْسِ ؟»

رَدَّ : « أجَلْ ، ثُمَّ ماتَ بَعْدَهُ .»

تَساءَلَتْ كاثي في نَفْسِها : « تُرى أ كانَ ذَلِكَ الشّابُّ هُوَ السَّيِّدَ هايني ؟» هَلْ كانَ هذا هُوَ شَبَحَ السَّيِّدِ هايني ؟» ثُمَّ سَألَتْهُ : « هَلْ سَمِعْتَ الموسيقى ، يا سَيِّدُ بيرلي ؟»

قالَ بيرلي : « أجَلْ ، وَقَدْ سَمِعَها أناسٌ آخرونَ أيْضاً في القَرْيَةِ .»

سَألَتْهُ كاثي : « لِماذا يَعودُ شَبَحُهُ ثانِيَةً وَيَعْزِفُ عَلى الأرْغُنِ ؟»

قالَ الرَّجُلُ العجوزُ : « أنا .. أنا لا أعْرِفُ . رُبَّما يَعْزِفُ مِنْ أجْلِ فَتاتِهِ . مِنَ المُحْتَمَلِ أنَّهُ يَدْعوها إلَيْهِ .»

قالَتْ كاثي : « وَلكِنْ أ لَيْسَتْ هِيَ مَيِّتَةً الآنَ بَعْدَ مُضِيِّ سَبْعينَ سَنَةً ، أمْ أنَّها قَدْ بَلَغَتْ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا ؟»

قالَ بيرلي بِهُدوءٍ : « لَقَدْ ماتَتْ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ زَواجِها . ماتَتْ إثْرَ حادِثَةٍ بِالبَحْرِ .»

قالَتْ كاثي بِأسًى : « وَلكِنَّ السَّيِّدَ هايني لا يَزالُ يَعْزِفُ لَها ، إذاً فَهِيَ لَمْ تَذْهَبْ إلَيْهِ بَعْدَ الحادِثِ . لَقَدْ ماتَتْ وَلكِنَّها لَمْ تَذْهَبْ إلَيْهِ .»

قالَ بيرلي : « لا .» وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ سَألَها : « مَتى رَأيْتِ السَّيِّدَ هايني ؟»

أجابَتْ كاثي : « اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ، فَقَدْ كانَ في القَصْرِ .»

ظَلَّ بيرلي صامِتاً فَتْرَةً طَويلَةً ، ثُمَّ تَطَلَّعَ إلى وَجْهِ كاثي وَنَظَرَ بَعيداً ، وَفَعَلَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ . وَفي النِّهايَةِ قالَ مُحَذِّراً : « يَجِبُ أَنْ تُغادِري هذا المَكانَ بِسُرْعَةٍ . لا تَبْقَيْ هُنا !»

سَأَلَتْه كاثي : « لِماذا ؟»

أجاب: « لا أَعْرِفُ . الَّذي أَعْرِفُهُ فَقَطْ أَنَّهُ يَجِبُ ألا تَبْقَيْ هُنا ؛ فَهذا المَكانُ خَطِرٌ عَلَيْكِ .» ثُمَّ سارَ مُبْتَعِداً .

تَساءَلَتْ كاثي في نَفْسِها مُتَعَجِّبَةً : « تُرى هَلْ أَذْهَبُ ؟ رُبَّما كانَ عَلى حَقٍّ ؛ فَالأَشْباحُ خَطِرَةٌ . وَلكِنّي أُريدُ أَنْ أَبْقى . أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً عَنْ هذا الشَّبَحِ عازِفِ الأَرْغُنِ .»

* * *

كانَتْ فَتْرَةُ العَصْرِ شَديدَةَ الحَرارَةِ ، احْتَجَبَتْ فيها الشَّمْسُ وَراءَ السُّحُبِ ، وَكانَتِ السَّماءُ مُعْتِمَةً . وَنَظَرَتْ كاثي إلى السُّحُبِ الكَثيفَةِ السَّوْداءِ وَقالَتْ : « إنَّ هذِهِ السُّحُبَ تُنْذِرُ بِسُقوطِ المَطَرِ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تَهُبَّ عاصِفَةٌ رَعْدِيَّةٌ .» وَلَمْ تَكُنْ تُحِبُّ العَواصِفَ الرَّعْدِيَّةَ ، وَلا تُحِبُّ وَميضَ البَرْقِ المُفاجِئِ وَلا هَزيمَ الرَّعْدِ .

مَكَثَتْ كاثي في خَيْمَتِها ، وَكانَتْ تَسْمَعُ دَوِيَّ الرَّعْدِ ، وَلكِنَّهُ

لَمْ يَكُنْ مُتَتابِعاً بَعْدُ . وَحَلَّ اللَّيْلُ ، فَدَخَلَتْ في كيسِ النَّوْمِ ، وَإنْ هِيَ سِوى لَحَظاتٍ حَتّى بَدَأَ سُقوطُ المَطَرِ .

قالَتْ كاثي : « لا يَروقُني المَطَرُ . إنَّهُ غَزيرٌ وَسَوْفَ يَتَسَرَّبُ إلى خَيْمَتي ؛ لِذا عَلَيَّ أَنْ أُسْرِعَ بِالذَّهابِ إلى السَّيّارَةِ والنَّوْمِ فيها .»

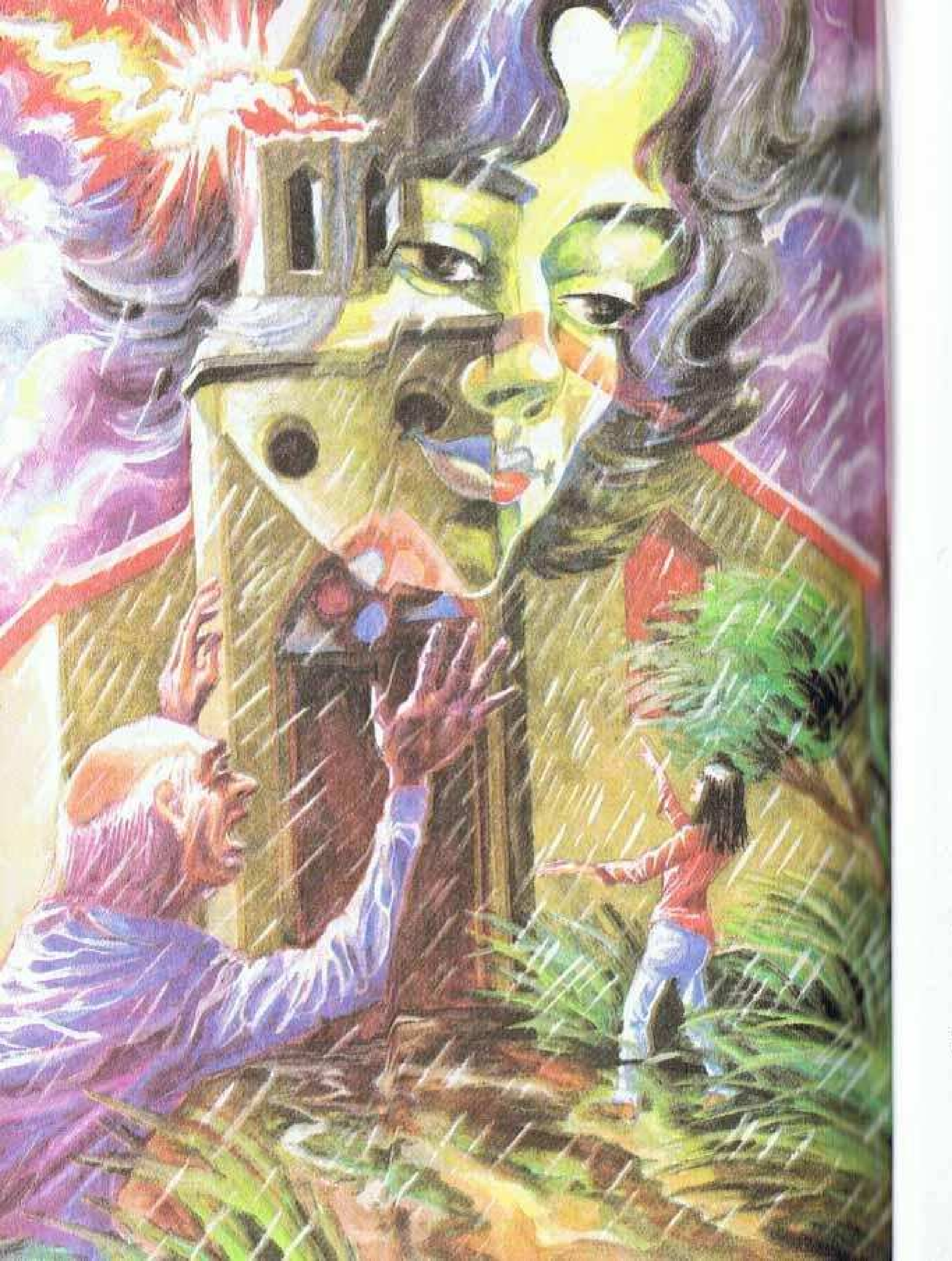
وَغادَرَتْ كيسَ نَوْمِها ، ثُمَّ رَفَعَتِ الخَيْمَةَ وَحَمَلَتْها وَكُلَّ مُتَعَلِّقاتِها إلى السَّيّارَةِ . وَسَرْعانَ ما أَغْرَقَتْها مِياهُ المَطَرِ الغَزيرَةُ . وَما لَبِثَ أَنْ دَوّى الرَّعْدُ دَوِيّاً مُتَتابِعاً . وَلكِنْ كانَ ثَمَّةَ صَوْتٌ آخَرُ يَعْلو عَلى صَوْتِ الرَّعْدِ – لَقَدْ كانَ صَوْتَ موسيقى الأَرْغُنِ ، وَكانَ يَنْبَعِثُ مِنْ ناحِيَةِ القَصْرِ .

تَوَقَّفَتْ كاثي وَأَرْهَفَتِ السَّمْعَ ، ثُمَّ قالَتْ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إلى القَصْرِ . لا بُدَّ لي مِنَ الذَّهابِ .» ثُمَّ اسْتَدارَتْ وَخاضَتْ في الحَقْلِ الَّذي أَغْرَقَهُ ماءُ المَطَرِ .

* * *

كانَ بيرلي يَعيشُ وَحيداً في مَنْزِلٍ صَغيرٍ بِالقَرْيَةِ ، وَكانَ جالِساً يَقولُ لِنَفْسِهِ : « لَقَدْ عِشْتُ وَحيداً سَبْعينَ سَنَةً ، وَهذا العامَ سَأَبْلُغُ التّاسِعَةَ والثَّمانينَ .»

وَفَكَّرَ في الفَتاةِ صاحِبَةِ الخَيْمَةِ وَأَضافَ : « إنَّها عاصِفَةٌ رَعْدِيَّةٌ



قاسيَةٌ . سَوْفَ تَغمُرُها مِياهُ الأمْطارِ .» ثُمَّ تطَرَّقَ تفكيرُهُ إلى القَصْرِ وَموسيقى الأرْغنِ ، فَأحسَّ بِالخَوْفِ يَدِبُّ في قَلْبِهِ .

اسْتَمَرَّتِ العاصِفَةُ الرَّعْدِيَّةُ ، وكذلكَ هَزيمُ الرَّعْدِ وَ وَميضُ البَرْقِ . وأرْهَفَ بيرلي السَّمْعَ ، فَتذَكَّرَ أثْناءَ ذَلِكَ عاصِفَةً أخرى حَدَثَتْ مُنْذُ سِنينَ خَلَتْ وَماتَ فيها شابٌّ ؛ إذ أصابَ البَرْقُ بُرْجَ القَصْرِ ، فَانْفَصَلَ جُزْءٌ مِنْهُ وَهَوى فَوْقَهُ فَقَتَلَهُ . وَتَناهى إلى سَمْعِ بيرلي صَوْتُ الأرْغُنِ ، وَكانَ يُغَطّي عَلى صَوْتِ العاصِفَةِ ، وَيَكادُ يَعْلو عَلى صَوْتِ الرَّعْدِ . وَكانَتِ الموسيقى تَمْلأُ جَنَباتِ مَنْزِلِهِ .

قالَ بيرلي لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ أنْ أذْهَبَ إلى القَصْرِ . يَجِبُ ألا تَموتَ الفَتاةُ .»

* * *

شَقَّتْ كاثي طَريقَها إلى القَصْرِ ، وَ وَمَضَ البَرْقُ فَأضاءَ المَبْنى المُعْتِمَ ، وَالبُرْجَ العالي المُحَطَّمَ . سارَتْ وَكَأنَّها شَخصٌ يَمْشي في حُلْمٍ .

صَعِدَ بيرلي إلى التَّلِّ وَشاهَدَها تَقْتَرِبُ مِنَ القَصْرِ ؛ فَصاحَ فيها : « قِفي ! ابْتَعِدي عَنِ القَصْرِ !»

وَسَطَعَ وَميضُ بَرْقٍ آخَرُ . وَتطَلَّعَتْ كاثي بِناظِرَيْها إلى قِمَّةِ بُرْجِ القَصْرِ . وَكانَ ثَمَّةَ وَجْهُ شَخصٍ بِأعْلى .

صاحَتْ كاثي : « سَيِّدُ هايني ؟ أ هذا أنْتَ ، يا سَيِّدُ هايني ؟»

صاحَ بيرلي : « انْتَظِري ! قِفي !»

ابْتَسَمَ هايني لكاثي ، ثُمَّ أوْمأَ بِرأسِهِ وابْتَسَمَ ثانِيَةً .

صاحَ بيرلي : « دَعْها يا هايني ! دَعْها ! إنَّها لَيْسَتْ هِيَ ! لَيْسَتْ هِيَ !» ثُمَّ وَمَضَ بَرْقٌ آخَرُ . وَفي هَذِهِ المَرَّةِ أصابَتْ صاعِقَةٌ البُرْجَ ، فَانْفَصَلَ جُزْءٌ مِنْهُ وَبَدأَ يَهْوي لأسْفَلَ ، مُتَّخِذاً طَريقَهُ لِلسُّقوطِ فَوْقَ كاثي الَّتي حاوَلَتِ الجَرْيَ ، وَلكِنَّ شَيْئاً ما جَعَلَها تَتَسَمَّرُ في مَكانِها . وَفَجْأَةً تَحَرَّكَتْ يَدا الرَّجُلِ العَجوزِ وَدَفَعَتْها بَعيداً فَهَوى الجُزْءُ عَلى الأَرْضِ مُحْدِثاً صَوْتَ ارْتِطامٍ هائِلٍ .

عادَ كُلٌّ مِنْ بيرلي وَكاثي إلى مَنْزِلِ بيرلي . وَبَدأَتِ العاصِفَةُ تَهْدأُ ، وَبَدا القَصْرُ المُعْتِمُ خَلْفَهُما . وَسَألَتْهُ كاثي وَهِيَ لا تَزالُ فيما يُشْبِهُ أحْلامَ اليَقَظَةِ : « لِماذا ؟ لِماذا أتَيْتَ إلى القَصْرِ ؟»

قالَ بيرلي : « إنَّها العاصِفَةُ . إنّي أتَذَكَّرُ هايني . لَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ في عاصِفَةٍ مِثْلِ هذِهِ تَماماً .»

سألَتْهُ كاثي : « ماذا حَدَثَ لَهُ ؟»

« أصابَ البَرْقُ بُرْجَ القَصْرِ ، فَانْفَصَلَ جُزْءٌ مِنْهُ ، وَهوى فَوْقَ هايني وَقَتَلَهُ . وَكانَ ذَلِكَ بَعْدَ العُرْسِ بِلَيْلَتَيْن .»

قالَتْ كاثي : « وَأنا كُنْتُ سَألْقى حَتْفي تَقْريباً بِالطَّريقَةِ نَفْسِها . تُرى هَلْ حاوَلَ أنْ يَقْتُلَني بِالطَّريقَةِ نَفْسِها ؟»

قالَ بيرلي : « أجَلْ .»

« لِماذا ؟»

أجابَ بيرلي : « لأنَّ فَتاتَهُ اقْتَرَنَتْ بِغَيْرِهِ ، وَأنْتِ تُمَثِّلينَ لَهُ تِلْكَ الفَتاةَ . إنَّكِ .. إنَّكِ تُشْبِهينَها تَماماً ؛ فَوَجْهُكِ مِثْلُ وَجْهِها تَماماً .»

بُهِتَتْ كاثي ، وَاسْتَدارَتْ إلى بيرلي تَسْألُهُ : « أنا أشْبِهُها تَماماً ؟ كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟»

قالَ بيرلي بِهُدوءٍ : « لَقَدْ ذَكَرْتُ لَكِ أنَّها تَزَوَّجَتْ رَجُلاً آخَرَ . هَلْ تَذْكُرينَ ذَلِكَ ؟ لَقَدْ كُنْتُ أنا ذَلِكَ الرَّجُلَ الآخَرَ .»

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ عادَتْ كاثي إلى سَيّارَتِها وَهِيَ تَقولُ : « لا بُدَّ مِنْ مُغادَرَةِ هَذا المَكانِ فَوْراً . لَنْ أنْتَظِرَ ضَوْءَ النَّهارِ ، سَأذْهَبُ الآنَ .»

وانْبَعَثَ صَوْتُ موسيقى الأرْغُنِ عَبْرَ الحُقولِ ، وَغَطَّتْ كاثي أُذُنَيْها بِيَدَيْها .

القرينُ

في يومٍ مِنْ أيامِ شَهرِ يناير (كانون الثاني) وَقدْ تَساقطَ الثّلْجُ ، فَكسا أرْضَ المَدينةِ ، رأى غريغ ماسون قَرينَهُ .

كانَ غريغ في طَريقِهِ إلى مَنْزِلِه عائِداً مِنْ عَمَلِه . وَعِنْدَ تلّ هانغر نَزَلَ عَنْ دَرّاجتِه مُفضّلاً المَشْيَ وَسَحْبَها اتّقاءً للرّيحِ الّتي تُزَمْجِرُ في وَجْهِهِ ، وكانَ عَلَيْهِ أنْ يَدْفَعَ دَرّاجَتَهُ أعْلى التّلّ في مُواجَهةِ العواصِفِ الثّلْجيّةِ القاسِيةِ .

قالَ في نَفْسِه : « إنّي غالباً لا أنْزِلُ عَنْ دَرّاجتي وأسْحَبُها ، وَلكِنّ هذا الجَليدَ يُصَعّبُ الأمورَ .» وَتاقَ إلى النّارِ المُشْتَعِلَةِ الّتي تُدَفّئُ مَنْزِلَه .

وَكانَ رَأسُهُ مُنكّساً عِنْدَما فوجِئَ بِرُؤْيَةِ قَدَمَيْ شَخْصٍ آخَرَ ؛ فَاعْتَدَلَ وَرَفَعَ رَأسَهُ فَرَأى أمامَهُ شابًّا يافِعاً .

بادَرَهُ الشّابُّ مُحَيّياً بابْتِسامَةٍ باهِتَةٍ عَلى وَجْهِهِ : « أهْلاً بِكَ ! » وَنظَرَ إلَيْهِ غريغ مِنْ خِلالِ الثّلْجِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنّهُ يَنْتَعِلُ حِذائي ، وَيلْبَسُ مِعْطَفي ، وَلكِنّي أرْتَديهِما ! لا يُمْكِنُ أنْ تَكونَ مَلابِسي ، وَلكِنّها تُشْبِهُها تَماماً ! »

سَألَهُ الرّجُلُ : « هَلْ أنْتَ عائِدٌ إلى المَنْزِلِ ؟ »

أوْمأ غريغ بِرأسِهِ ، وَقالَ في نَفْسِهِ مُتَعجّباً : « لِماذا لَمْ أسْتَطِعِ الإجابَةَ ؟ إنّهُ يُشْبِهُني تَماماً : وَجْهي ، شَعْري ، عَيْنايَ ، وَلكِنْ ... »

وَكانَ الشّابُّ يُشْبِهُ غريغ تَماماً . إنّهُ صورَةٌ طِبْقَ الأصْلِ مِنْهُ .

قالَ الشّابُّ القَرينُ : « أنْتَ تَعيشُ في زُقاقِ هانْغر ؟» وَلَمْ يَكُنْ هذا سُؤالاً ؛ فالقَرينُ يَعْلَمُ كُلّ شَيْءٍ . وَأوْمأ غريغ ثانِيَةً ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أيّةُ إجابَةٍ . وَقالَ لِنَفْسِهِ مُتَعَجّباً : « مَنْ يَكونُ ؟»

وَفَجأةً أحَسّ بِبُرودَةٍ تَسْري في جِسْمِهِ ، وَلكِنْ لَيْسَ بِسَبَبِ الثّلْجِ أوِ العاصِفَةِ الشّتَوِيّةِ . وَابْتَسَمَ القَرينُ في وَجْهِ غريغ الدّهِشِ وَقالَ : « نَعَمْ في زُقاقِ هانْغر . إنّهُ لَيْسَ قَريباً مِنْ مَحَلّ عَمَلِكَ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

حينَئِذٍ سَألَهُ غريغ : « أ تَعْرِفُني ؟ أ تَعْرِفُ مَكانَ عَمَلي ؟ أنا

لا أفْهَمُ !»

قالَ القَرينُ : « لا تَدْهَشْ ؛ أنا أعْرِفُ الكَثيرَ عَنْكَ ، وَيَلْزَمُ أنْ أعْرِفَ أكْثَرَ .» ثُمَّ ابْتَسَمَ ثانِيَةً ابْتِسامَةً غَيْرَ وُدِّيَّةٍ وَقالَ : « سَأراكَ ثانِيَةً ... قَريباً !» ثُمَّ سارَ إلى سَفْحِ التَّلِّ .

أخَذَ غريغ يُراقِبُهُ مُتَعَجِّبًا : « هَلْ حَدَثَ هَذا حَقًّا ؟ هَلْ تَحَدَّثَ إلَيَّ حَقًّا قَريني ؟ وَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنّي ؟ لا أكادُ أُصَدِّقُ !»

أحْضَرَتْ لَهُ والِدَتُهُ الشّايَ قائِلَةً: « لَقَدْ تَأخَّرْتَ اللَّيْلَةَ.»

قالَ غريغ : « نَعَمْ .» ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « لا أسْتَطيعُ أنْ أخْبِرَها بِشَيْءٍ عَنِ القَرينِ . تُرى ماذا سَيَكونُ رَدُّ فِعْلِها ؟ إنَّ المَوْضوعَ أشْبَهُ بِقِصَّةٍ خَيالِيَّةٍ تُرْوى في كِتابِ الأساطيرِ . أشْياءُ كَتِلْكَ لا تَحْدُثُ في الحَقيقَةِ ، وَلَنْ يُصَدِّقَها النّاسُ .»

وَجاءَ والِدُ غريغ ، وَكانَ الثَّلْجُ يُغَطّي حِذاءَهُ ، وَ وَجْهُهُ شَديدَ الاحْمِرارِ مِنْ أثَرِ الرّيحِ .

قالَ : « يا لَها مِنْ لَيْلَةٍ ! إنَّ البَرْدَ قارِسٌ الآنَ .» وَجَلَسَ إلى المائِدَةِ بِجانِبِ ابْنِهِ ، وَأحْضَرَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ الشّايَ فَشَكَرَها ، ثُمَّ نَظَرَ إلى وَلَدِهِ وَقالَ لَهُ : « كُنْتَ في عَمَلِكَ بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

دَهِشَ غريغ وَقالَ : « نَعَمْ ، بِالطَّبْعِ كُنْتُ في عَمَلي بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ . لِماذا تَسْألُ يا أبي ؟»

قالَ الأبُ وَهُوَ يَعْمَلُ بَنّاءً : « إنَّني أعْمَلُ في شارِعِ كيمبِل وَقَدْ رَأيْتُ شابًّا يُشْبِهُكَ تَماماً ؛ مِعْطَفُهُ مِثْلُ مِعْطَفِكَ وَ وَجْهُهُ يُشْبِهُ وَجْهَكَ أيْضاً .»

قالَ غريغ : « أنا لَمْ أكُنْ في شارِعِ كيمبِل اليَوْمَ .» وَقالَ لِنَفْسِهِ : « هَلْ أخْبِرُهُمْ عَنِ القَرينِ ؟» وَأرادَ إخْبارَهُمْ وَلكِنْ ...

« لِماذا لا يُمْكِنُني الكَلامُ عَنْهُ ؟ ما الَّذي يَمْنَعُني ؟» إنَّهُ لا يَعْرِفُ . لَقَدْ تَناوَلَ الشّايَ وَ لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ .

كانَ والِدُهُ شَغِفاً بِسَماعِ نَشْرَةِ الأخْبارِ المَسائِيَّةِ في التِّليفِزيون ، وَالَّتي جاءَ بِها : « إلَيْكُمُ الآنَ أخْبارَ الطَّقْسِ . تَساقَطَ الثَّلْجُ في غَرْبِ إنْجِلْترا اليَوْمَ ...»

قالَ الأبُ : « هَذا صَحيحٌ ، كانَتْ ثَمَّةَ كَمِّيَّةٌ مِنَ الثَّلْجِ .» وَلَمْ يَسْمَعْهُ غريغ ؛ فَقَدْ كانَتْ عَيْناهُ مُثَبَّتَتَيْنِ عَلى التِّليفِزيون . وَاسْتَمَرَّ مُقَدِّمُ النَّشْرَةِ الجَوِّيَّةِ يَقولُ : « لَمْ تَرِدْ أنْباءٌ جَديدَةٌ عَنِ الأطْباقِ هَذا الأسْبوعَ ، وَالنّاسُ يَتَعَجَّبونَ مِنْ قِصَّةِ الأطْباقِ الطّائِرَةِ الَّتي شوهِدَتْ في الأسْبوعِ الماضي في غَرْبِ إنْجِلْترا .»

قالَ السَّيِّدُ ماسون مُتعجِّبًا : « أطباقٌ طائرةٌ ! أجْسامٌ مِنَ الفضاءِ الخارجيِّ ! أناسٌ مِنْ عوالِمَ أخرى ! هَلْ تُصدِّقُ هذا ؟ »

سألَتْهُ زوجتُهُ : « ماذا كانَ هذا ، يا عزيزي ؟ »

أجابَها : « ألا تتذكَّرين ؟ لقَدْ حدَثَ يومَ السَّبْتِ الماضي ، هُنا في هذهِ المدينةِ ، أنْ رأى بعضُ النّاسِ جِسْمًا ضخمًا في السَّماءِ ، وكانَ طَبَقًا طائرًا مِنَ الفضاءِ الخارجيِّ . وكَما يقولونَ ، لقَدْ أخبرَ أحَدُهُمْ مسئولي نشْرَةِ أخبارِ التّليفزيون أنَّ الطَّبَقَ هبطَ في حقْلٍ في الجانبِ الشَّماليِّ مِنَ المدينةِ . »

قالَتِ الزَّوْجَةُ : « نعَمْ إنّي أتذكَّرُ الآنَ . لقَدِ اصْطحبَهُمْ إلى الحقْلِ ، ولكِنَّ الطَّبَقَ لَمْ يكُنْ مَوجودًا . »

قالَ السَّيِّدُ ماسون : « ولَمْ يكُنْ موجودًا قطُّ ! إنَّهُ حُلْمٌ ! »

وسألَ غريغ نفْسَهُ مُتعجِّبًا : « تُرى أ كانَ قريني حُلْمًا أيضًا ؟ »

* * *

لَمْ ينعَمْ غريغ بنومٍ عميقٍ ، وفي الصَّباحِ المُبكِّرِ ارتدى ملابِسَهُ على عجَلٍ ، وهبطَ إلى المطبَخِ . وكانَتْ أمُّهُ هُناكَ فقالَتْ لهُ : « لقَدْ تساقطَ الثّلجُ ثانيةً طوالَ اللَّيْلِ ؛ فيَجِبُ أنْ تحترِسَ في سيْرِكَ ؛ فالثَّلجُ كثيفٌ وعميقٌ . »

ولَمْ يأخُذْ غريغ درّاجتَهُ ، فقَدْ ذهَبَ إلى عمَلِهِ ماشيًا ، ولكنَّهُ توقَّفَ فجْأةً عِنْدَ تلٍّ هانْغر . وكانَ القرينُ واقِفًا في سفْحِ التَّلِّ .

قالَ غريغ لِنفْسِهِ : « إذًا ليْسَ الأمْرُ حُلْمًا ؛ فالقرينُ حقيقةٌ . » وهبطَ إلى سفْحِ التَّلِّ لِيجِدَ القرينَ يبْتسِمُ لهُ . وكانَ يُشْبِهُهُ كُلَّ الشَّبَهِ ، ولكِنَّ ابْتسامتَهُ لَمْ تكُنْ لطيفةً .

سألَهُ غريغ : « مَنْ أنتَ ؟ لماذا أنْتَ هُنا ؟ »

نظَرَ إليْهِ القرينُ ، بِوجْهِ غريغ نفْسِهِ ، ثُمَّ بدَأَ يتكلَّمُ : « مَنْ أنا ؟ أنا أنْتَ ! أوْ بالأحْرى سأكونُ أنْتَ ! لماذا أنا هُنا ؟ لأنَّكَ أنْتَ هُنا ! » ولَمْ يُعقِّبْ غريغ ، ولكِنَّهُ قالَ لِنفْسِهِ مُتعجِّبًا : « ماذا يَحْدُثُ ؟ لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ هُناكَ غريغ ماسون آخَرُ ! أنا غريغ ماسون . »

قالَ القرينُ غاضبًا : « إنّي مُنْتظِرٌ ! »

سألَهُ غريغ : « ماذا تنْتظِرُ ؟ »

قالَ القرينُ : « أنْتظِرُ لأكونَ أنْتَ ! وسأكونُ أنتَ ، ولَنْ تسْتطيعَ منْعي دائِمًا . » قالَ ذلِكَ وهُوَ يزْدادُ اقْترابًا مِنْ غريغ ، ثُمَّ انْصرفَ على الفوْرِ .

* * *

يعْمَلُ غريغ في إحْدى الشّركاتِ ، ويَقَعُ مكْتبُهُ بالقُرْبِ مِنَ

النّافذةِ ، ويَجلِسُ مايك وود إلى جانبِهِ ، وهُما صَديقانِ . ونَظَرَ غريغ إلى الخارجِ حيْثُ مَوْقِفُ السّيّاراتِ ، ثُمّ قالَ لنفسِهِ : « لَقَدْ تساقَطَ الثّلْجُ ثانيةً بَعْدَ ظُهرِ اليَوْمِ .» وكانَ مَوْقِفُ السّيّاراتِ مُغطّى بالثّلْجِ وكَذلِكَ السّيّاراتُ .

ومَضى يَقولُ لِنَفْسِهِ : « لَمْ أُخبِرْ مايك بِشَيْءٍ عَنِ القَرينِ بَعْدُ . إنّني أُريدُ أنْ أُخبِرَهُ ولكنّي لا أستَطيعُ إيجادَ الكَلِماتِ المُناسِبَةِ .»

ونَظَرَ مايك إلى غريغ وقالَ : « إنّهُ يُحِبُّ الثّلْجَ .» وأشارَ إلى خارِجِ النّافذةِ . ونَظَرَ غريغ إلى مَوْقِفِ السّيّاراتِ ، فَرأى رَجُلاً وَسَطَ الثّلْجِ .

وتَساءَلَ غريغ مُتَعَجّبًا : « تُرى مَنْ يَكونُ ؟ لا أستَطيعُ تَبَيُّنَ مَلامِحِهِ .»

أجابَ مايك : « إنّهُ يَرْتَدي مِعطَفَكَ وَيَتَّشِحُ بِوِشاحِكَ .»

قالَ غريغ : « نَعَمْ ، إنّها مَلابِسي .» وفَجْأةً أحَسَّ بِقُشَعْريرَةٍ .

قالَ مايك : « إنّهُ يَنْصَرِفُ الآنَ ؛ تُرى مَنْ هُوَ ؟»

ولَمْ يَدْهَشْ غريغ بِطَبيعَةِ الحالِ ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ وقالَ لِنَفْسِهِ : « إنّهُ هُوَ ! إنّهُ القَرينُ ! لِماذا أتى ؟ ما الّذي يُريدُهُ مِنّي ؟»

* * *

عادَ غريغ إلى مَنزِلِهِ بَعْدَ انْتِهاءِ العَمَلِ . وما إنْ رآهُ والِدُهُ السَّيِّدُ ماسون حَتّى قالَ : « ها هُوَ ذا ! أ لَمْ تَرَني ، يا غريغ ، بَعْدَ ظُهرِ اليَوْمِ ؟»

قالَ غريغ : « بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ؟»

قالَ السَّيِّدُ ماسون : « نَعَمْ لَقَدْ رَأيْتُكَ في شارِعِ كيمبِل ، وكُنْتَ تَنْظُرُ إلى نافذَةِ العَرْضِ .»

قالَ غريغ : « بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ؟»

قالَ السَّيِّدُ ماسون : « نَعَمْ لَقَدْ رَأيْتُكَ في شارِعِ كيمبِل . لَقَدْ كُنْتَ تَنْظُرُ إلى نافذَةِ العَرْضِ في مَتْجَرِ زَوْجَةِ السَّيِّدِ هاريس .»

قالَ غريغ : « لَسْتُ أنا .»

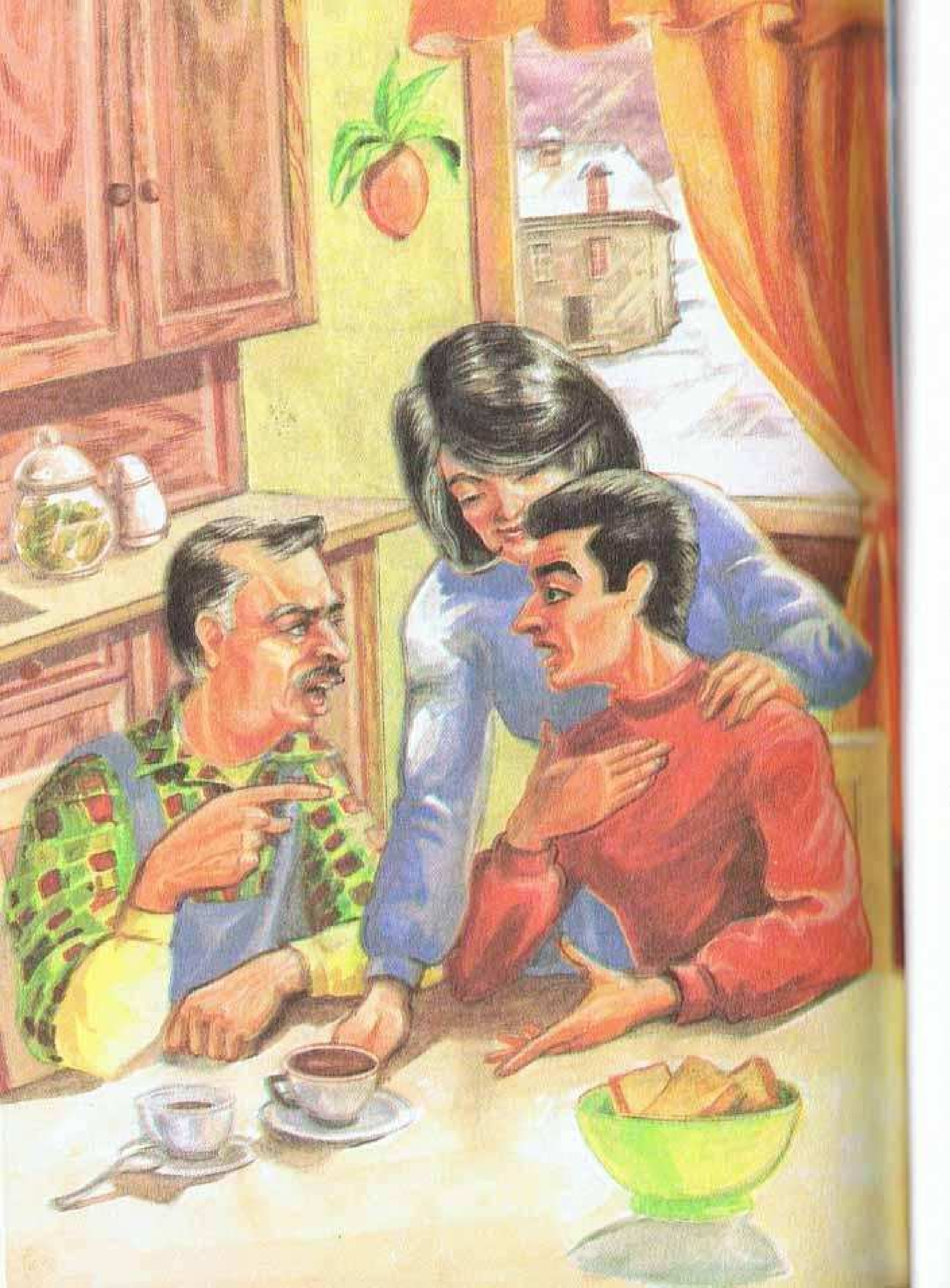
غَضِبَ والِدُهُ وقالَ : « بَلْ هُوَ أنْتَ . إنّي أعْرِفُ ابْني جَيّدًا ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ هَلْ مِنْ سوءٍ يا غريغ ؟»

ابْتَسَمَ السَّيِّدُ ماسون وقالَ : « كانَ قَرينُكَ إذًا ! أ لَيْسَ كَذلِكَ؟»

رَدَّ غريغ بِسُرْعَةٍ : « هَذا صَحيحٌ ، إنّهُ القَرينُ .»

ونَظَرَ إلَيْهِ والِداهُ بِدَهْشَةٍ .

قالَتْ والِدَتُهُ : « القَرينُ ؟ غريغ عَمَّ تَتَكَلَّمُ ؟»



قالَ السَّيِّدُ ماسون : « غريغ ، لا تَكْذِبْ ! لَقَدْ رَأيْتُكَ ، وَكُنْتَ تَنْظُرُ في نافِذَةِ العَرْضِ في المَتْجَرِ . لِماذا كُنْتَ في شارِعِ كيمبْل وَلَمْ تكُنْ في عَمَلِكَ ؟ »

احْتَدَّ غريغ قائِلاً : « أنا لَمْ أكُنْ بِشارِعِ كيمبْلِ ! لَمْ يَكُنْ أنا ! » وَنَظَرَ إلى وَجْهَيْهِما وَقَدْ عَلَتْهُما الدَّهْشَةُ ؛ إذْ لَمْ يُصَدِّقا ما قالَهُ .

قالَتْ والِدَتُهُ في هُدوءٍ : « هاكَ الشّايَ ، يا غريغ . »

وَابْتَسَمَ غريغ لَها شاكِرًا ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ ألا أكونَ سَريعَ الغَضَبِ . » وَلَكِنَّهُ كانَ يَرْتَعِدُ مِنَ الخَوْفِ في داخِلِهِ ، وَإنْ لَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ . وَخَرَجَ بَعْدَ تَناوُلِهِ الشّاي ، وَفي أيّامِ الجُمَعِ كانَ دائِمًا ما يَتَقابَلُ مَعَ مايك وود في النّادي لِيَلْعَبا البِلْياردو . وَكانَ بِالنّادي أَرْبَعُ طاوِلاتٍ لِلْبِلْياردو .

قالَ غريغ لِنَفْسِهِ في الطَّريقِ : « يَجِبُ ألا أتأخَّرَ ؛ فَمايك لا يُحِبُّ اللَّعِبَ إلا عَلى أفْضَلِ الطّاوِلاتِ . »

وَظَهَرَ القَرينُ في سَفْحِ تَلِّ هانْغَر .

سَألَهُ غريغ هَذِهِ المَرَّةَ دونَ دَهْشَةٍ : « أنْتَ ! مَنْ أنْتَ ؟ »

رَدَّ القَرينُ : « أنا أنْتَ ! »

قالَ غريغ : « كُفَّ عَنْ هَذا ! لا تَقُلْ هَذا ثانِيَةً ! »

قالَ القرينُ : « وَلكِنّهُ صَحيحٌ ، فأنا هُوَ أَنْتَ ، أَوْ سَوفَ أكونُ سَريعاً . سأكونُ واقِعاً مِثْلَكَ ؛ فَكُلُّنا سَنُصبِحُ واقِعاً مِثْلَ قُرَنائِنا عَلى الأَرْضِ !»

قالَ غريغ وَقَدْ بَدأَ الخَوفُ يُسَيْطِرُ عَلَيْهِ ثانِيَةً : « نَحْنُ ؟ ما الّذي تَتَكلّمُ عَنْهُ ؟»

قالَ القرينُ : « لَمْ أكُنْ أنا وَحْدي ، هُناكَ أَرْبَعَةُ آخَرونَ ، وَلكنّي أنا الوَحيدُ فَقَطْ مِثْلُكَ ، أَوْ سأكونُ . سَأُجْري عَمَلِيَّةَ تَحْويلٍ ؛ فَقَدْ أجْرى الآخَرونَ تَحْويلاتِهِمْ فَلِمَ لا يُمكِنُني أنْ أُجرِيَ تَحْويلي ؟ لماذا تَمْنَعُني ؟» قالَ هَذا وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الغَضَبُ مَداهُ .

قالَ غريغ : « تَحْويلٌ ؟ أنا لا أفْهَمُ .»

قالَ القرينُ : « إنّنا نُشْبِهُ صورَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، وَهَذا خَطَأٌ ؛ إذْ يَجِبُ أنْ نَكونَ صورَةً واحِدَةً . وَهذا ما يَجِبُ أنْ يَتِمَّ !»

لَمْ يَكُنْ أمامَ غريغ سِوى الفِرارِ ؛ فَهُوَ لا يُريدُ أنْ يَحْدُثَ هذا الشَّيْءُ المُسَمّى « التَّحْويل » . وَقَدْ نَسِيَ في غَمْرَةِ هَذِهِ الأَحْداثِ مَوْعِدَ لِعبِ البِلْياردو في النّادي وَكَذلكَ مايك . وَراحَ يَجْري مُدَّةً طَويلَةً دونَ أنْ يَتَوَقَّفَ . وَكانَتْ ثَمَّةَ أَضْواءٌ تَنْبَعِثُ مِنْ نَوافِذِ العَرْضِ في المَتاجِرِ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أناسٌ كَثيرونَ في الشَّوارِعِ ؛ فَقَدْ

كانَ البَرْدُ قارِساً وَلَزِمَ الكَثيرونَ مَنازِلَهُمْ . وَتَذَكَّرَ غريغ كَلِماتِ القَرينِ : « سَنُصْبِحُ واقِعاً مِثْلَ قُرَنائِنا عَلى الأَرْضِ .»

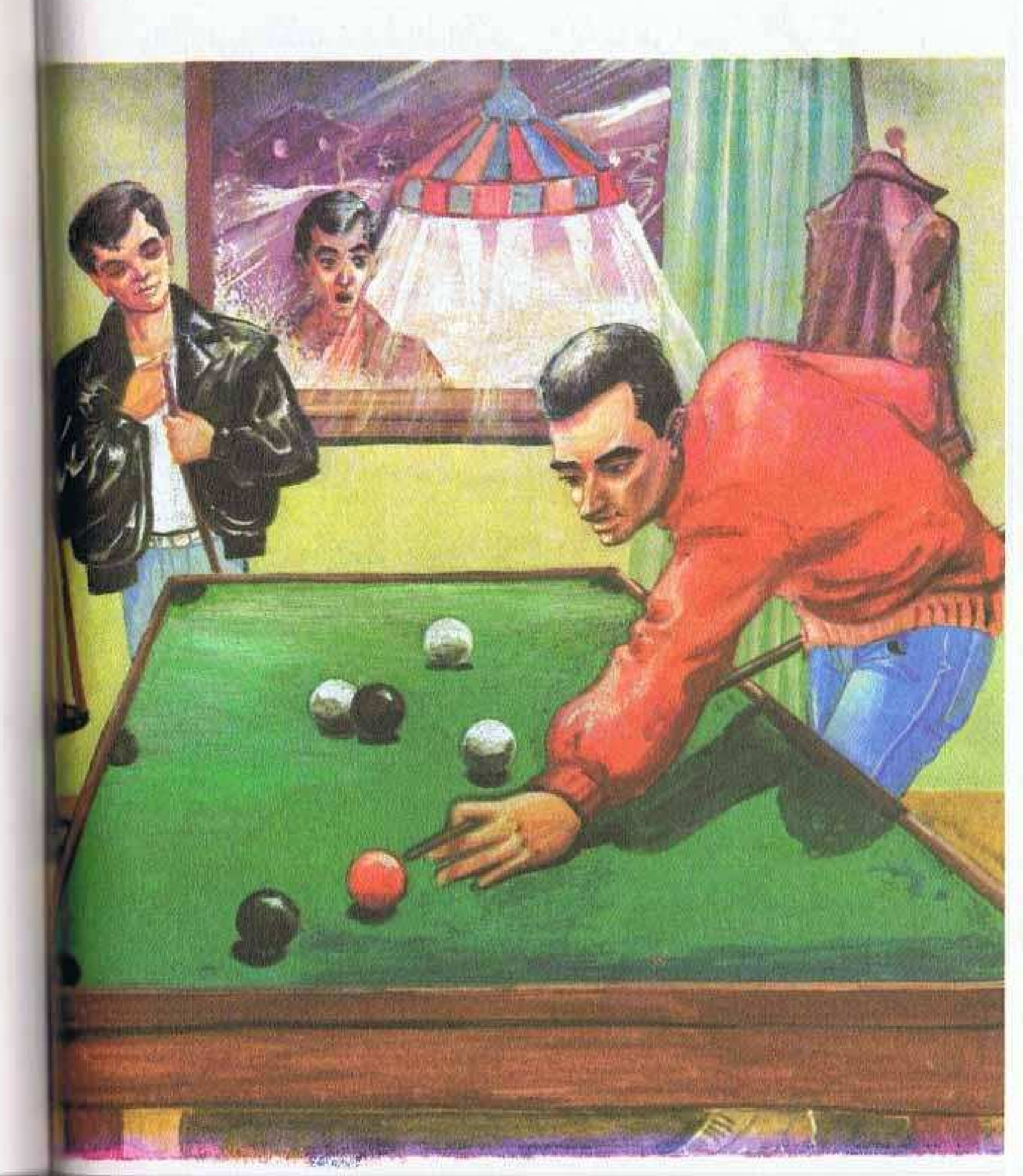
وَقالَ غريغ لِنَفْسِهِ : « قُرَناءُ الأَرْضِ ! إذاً ما هُوَ القَرينُ ؟ مِنْ أَيْنَ أتى ؟ هَلْ أتى مِنْ مَكانٍ آخَرَ غَيْرِ الأَرْضِ ؟» وَفَجْأَةً ، تَذَكَّرَ غريغ صَديقَهُ مايك ، فَقالَ لِنَفْسِهِ : « مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَعْرِفَ الإجابَةَ . آه! إنَّهُ في النّادي ، وَلَعَلَّهُ يَبْحَثُ عَنّي ، وَمِنَ المُؤكَّدِ أنَّ الآخَرينَ قَدْ حَصَلوا عَلى أَحْسَنِ طاوِلاتِ البِلْياردو ، وَقَدْ لا يَكونُ مايك في انْتِظاري الآنَ .»

وَشَعَرَ غريغ بِحاجَتِهِ الشَّديدَةِ إلى مُحادَثَةِ مايك ، وَإخْبارِهِ بِمَوْضوعِ القَرينِ ؛ لَعَلَّهُ يُمْكِنُهُ مُساعَدَتُهُ . وَقَطَعَ الطَّريقَ عَدْواً إلى النّادي . وَكانَتِ الأَضْواءُ تَنْبَعِثُ مِنْ غُرَفِ النّادي كُلِّها ، فَنَظَرَ مِنْ خِلالِ إحْدى النَّوافِذِ فاتَّسَعَتْ حَدَقَتاهُ دَهْشَةً ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّ مايك مَوْجودٌ ! لَمْ يَعُدْ إلى المَنْزِلِ بَعْدُ ! إنَّهُ يَلْعَبُ البِلْياردو عَلى أَحْسَنِ الطّاوِلاتِ .»

وَأَبْصَرَ غريغ الرَّجُلَ الآخَرَ عَلى الطّاوِلَةِ مَعَ مايك ؛ كانَ القَرينَ ! قَرينَ غريغ !

ارْتَدَّ غريغ بَعيداً عَنِ النّافِذَةِ ، وَهُوَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « ما الّذي

يَحْدُثُ ؟ هَلْ ما زِلتُ غريغ ماسون الحَقيقِيَّ ؟» وَراحَ يَجْري تارَةً وَيَمْشي أخرى خِلالَ الشَّوارِعِ المُعْتِمَةِ ، ومَشى عَبْرَ الحَديقَةِ ،



وَكانَتِ الحَشائِشُ مَكْسُوَّةً بِالثَّلْجِ الأَبْيَضِ ، وَكانَ ثَمَّةَ أناسٌ آخَرونَ وَلكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْهُمْ . وَكانَ الإحْساسُ بِالبَرْدِ وَالخَوْفِ يَمْلأُهُ . وَ وَجَدَ عَنْ بُعْدٍ مَقْهًى مَفْتوحاً فَقالَ لِنَفْسِهِ : « سَيَكونُ المَكانُ دافِئاً بِالدّاخِلِ ، كَما أَنّي في حاجَةٍ إلى مَشْروبٍ ساخِنٍ .» وَهكَذا فَتَحَ البابَ وَدَخَلَ .

وَجَلَسَ إلى إحْدى المَوائِدِ ، وَجاءَتْ إلَيْهِ المُضيفَةُ وَسَأَلَتْهُ : « هَلْ تُريدُ فِنْجاناً مِنَ القَهْوَةِ ؟»

أجابَ غريغ : « أَجَلْ ، مِنْ فَضْلِكِ .»

وَكانَ بِالمَكانِ شَخْصٌ آخَرُ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ عَجوزٌ تَجْلِسُ بِجِوارِ النّافِذَةِ ولكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَنْظُرُ إلَيْهِ .

وَقالَ غريغ لِنَفْسِهِ : « لِماذا لا أَسْتَطيعُ نِسْيانَ مايك وَالقَرينِ ؟ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ غريغ ماسون الحَقيقِيَّ . أَ لَمْ يُدْرِكْ مايك هذا ؟»

وَعادَتِ المُضيفَةُ بِالقَهْوَةِ ، فَتَناوَلَها غريغ شاكِراً .

وَكانَ عَلى المائِدَةِ المُجاوِرَةِ جَريدَةٌ مَسائِيَّةٌ ، وَنَظَرَ إلَيْها غريغ ، وَكانَ مَنْشوراً في الصَّفْحَةِ الأولى بِالبُنْطِ الأَسْوَدِ : « الطَّقْسُ الشَّتَوِيُّ لا يَزالُ مُسْتَمِرًّا !»

وَتَناوَلَ غريغ الصَّحيفَةَ وَفَتَحَها وَرَأى داخِلَها خَبَراً يَقولُ :

يؤكد رجل أنه رأى الأطباق الطائرة !

« لا يزال الناس يتحدثون عن الأطباق الطائرة منذ الأسبوع الماضي ، وذكر مراسلنا أنه قد أجرى حديثاً مع السيد آرثر ترنت جاء فيه : « لقد كانت في الحقيقة أطباقاً طائرة ، وقد رأيتها ليلة السبت وهي تهبط في حقل ، وأعرف أن الناس بحثوا في الحقول ، كما أعرف أنهم لم يجدوا أية آثار أقدام أو أية علامات أخرى – أنا أعرف هذا ، أعرفه تماما ! وزوجتي وأسرتي لا يصدقونني ، ويقولون إنها أضغاث أحلام ! ولكني رأيتها وأعرفها . لقد كانت في الحقيقة أطباقاً طائرة ، وليست حلماً ! »»

وَ وَضَعَ غريغ الصَّحيفَةَ عَلى المائِدَةِ وَهُوَ يُتَمْتِمُ : « الأطْباقُ الطّائِرَةُ ! أناسٌ مِنْ عَوالِمَ أخرى ! إنَّهُ شَيْءٌ غَريبٌ ! »

شَيْءٌ غَريبٌ مِثْلُ القَرينِ !

وَفَجْأَةً ، رأى مِنَ النّافِذَةِ سَيّارَةَ إطْفاءٍ تَنْطَلِقُ مُسْرِعَةً . وَاحْتَسى غريغ قَهْوَتَهُ ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ أَنْ أُسْرِعَ بِالعَوْدَةِ إلى المَنْزِلِ ؛ فالوَقْتُ مُتأخِّرٌ . »

وَتَوَقَّفَتْ سَيّارَةُ الإطْفاءِ في نِهايَةِ شارِعٍ طَويلٍ تَقَعُ فيهِ إحْدى الكُلِّيّاتِ .

قالَ غريغ : « إنَّها الكُلِّيَّةُ . إذاً فَالنّارُ مُشْتَعِلَةٌ بِها ! »

وَبَدَأَ يَجْري حَتّى بَلَغَ نِهايَةَ الشّارِعِ ، فَرَأى سَيّارَةَ الإطْفاءِ في مَوْقِفِ سَيّاراتِ الكُلِّيَّةِ ، وَكانَ ثَمَّةَ عَرَبَةُ إسْعافٍ وَحَشْدٌ صَغيرٌ .

وَسَأَلَ غريغ سَيِّدَةً بَيْنَ الواقِفينَ : « ماذا حَدَثَ ؟ كَيْفَ اشْتَعَلَ الحَريقُ ؟ »

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « رُبَّما تَسَبَّبَ طالِبانِ في إشْعالِها ؛ فَقَدْ سَمِعْتُ أَحَدَ رِجالِ الشُّرْطَةِ يَذْكُرُ ذلِكَ لِرَجُلِ الإسْعافِ . »

رأى غريغ سَيّارَةَ الشُّرْطَةِ خَلْفَ عَرَبَةِ الإسْعافِ ، فَقالَ بِدَهْشَةٍ : « طالِبانِ مِنَ الكُلِّيَّةِ ؟ »

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ عَثَرَ رَجُلُ الإطْفاءِ عَلى جُثَّتَيْنِ وَهُما الآنَ في عَرَبَةِ الإسْعافِ . »

وَذَهَبَ رَجُلٌ إلى عَرَبَةِ الإسْعافِ وَدَخَلَها ، فَأَشارَتْ إلَيْهِ السَّيِّدَةُ قائِلَةً : « إنَّهُ عَميدُ الكُلِّيَّةِ . »

قالَ رَجُلٌ آخَرُ : « إنَّهُ يَعْرِفُ طَلَبَةَ الكُلِّيَّةِ كُلَّهُمْ ، وَهُوَ ذاهِبٌ لِإلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلى الجُثَّتَيْنِ . »

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ خَرَجَ عَميدُ الكُلِّيَّةِ مِنْ عَرَبَةِ الإسْعافِ ، وَكانَ وَجْهُهُ شاحِباً .

لَمْ يَمكُثْ غريغ طويلاً ، وَاتَّخذَ طَريقَهُ مُتثاقِلاً إلى زُقاق هانغر ، وَكانَتْ كُلُّ المَنازِلِ مُعْتِمَةً وَلكِنَّ الضَّوْءَ كانَ يَنْبَعِثُ مِنْ مَنْزِلِ غريغ ، وَكانَتْ ثَمَّةَ سَيّارَةٌ واقِفَةٌ بِالقُرْبِ مِنَ المَدْخَلِ الأمامِيِّ ، وَكانَتْ سَيّارَةَ الشُّرْطَةِ .

تَساءَلَ السَّيِّدُ ماسون : « أَ هذا أنْتَ ، يا غريغ ؟ »

نَظَرَ غريغ فَرَأى رَجُلَيْنِ يَقِفانِ مَعَ والِدِهِ وَ والِدَتِهِ ، وَشُرْطِيَّةً تَجْلِس في مَقْعَدٍ ، وَشُرْطِيًّا آخَرَ إلى جِوارِ السَّيِّدِ ماسون .

سَأَلَهُ الشُّرْطِيُّ : « أَ هَذا ابْنُكَ ؟ »

أجابَ السَّيِّدُ ماسون : « أَجَلْ . »

وَخَطا الشُّرْطِيُّ نَحْوَ غريغ وَسَأَلَهُ : « أَيْنَ كُنْتَ ؟ »

أجابَ غريغ : « كُنْتُ في المَدينَةِ ، أَتَجَوَّلُ في الشَّوارِعِ ، ثُمَّ تَوَقَّفْتُ لأرى حَريقَ الكُلِّيَّةِ . »

سَأَلَتْهُ أُمُّهُ : « حَريقٌ ؟ هَلْ شَبَّ حَريقٌ في الكُلِّيَّةِ ؟ »

أجابَ الشُّرْطِيُّ : « أَجَلْ . سَمِعْتُ ذلِكَ مِنْ مِذْياعِ السَّيّارَةِ ، وَأَشْعَلَها طالِبانِ وَلكِنَّهُما لَقِيا حَتْفَهُما مُحْتَرِقَيْنِ . »

قالَتِ الأُمُّ : « يا لَلْعَجَبِ ! وَلكِنْ لِماذا فَعَلا ذلِكَ ؟ »

أجابَ الشُّرْطِيُّ : « نَحْنُ لا نَعْلَمُ ؛ لَقَدْ كانا طالِبَيْنِ مُتَفَوِّقَيْنِ ، وَلَمْ يَفْعَلا قَطُّ شَيْئًا مِثْلَ هَذا ، وَلكِنْ هَذا المَساءَ بَدا الأَمْرُ وَكَأَنَّهُما شَخْصانِ مُخْتَلِفانِ . »

نَظَرَتِ الشُّرْطِيَّةُ إلى غريغ وَسَأَلَتْهُ : « أَيْنَ كُنْتَ تَتَجَوَّلُ ؟ »

قالَتْ أُمُّهُ : « غريغ ... »

قاطَعَتْها الشُّرْطِيَّةُ قائِلَةً : « مِنْ فَضْلِكِ ! لَحْظَةً واحِدَةً . » وَعادَتْ إلى غريغ تَسْأَلُهُ : « أَيْنَ كُنْتَ تَتَجَوَّلُ قَبْلَ الحَريقِ ؟ »

أجابَ غريغ : « أَنا ... أَنا لا أَعْرِفُ ، لَقَدْ تَجَوَّلْتُ فَقَطْ دونَ هَدَفٍ ، وَجَلَسْتُ في أَحَدِ المَقاهي . »

قالَتِ الشُّرْطِيَّةُ : « هَلْ ذَهَبْتَ إلى شارِعِ كيمبِل مِنْ قَبْلُ ؟ »

« شارِعُ كيمبِل ؟ كَلّا ! أَوْ لا أَظُنُّ . »

سَأَلَتِ الشُّرْطِيَّةُ : « أَ لا تَعْرِفُ ؟ »

أجابَ غريغ : « لا أَعْرِفُ . »

قالَتْ لَهُ الشُّرْطِيَّةُ : « لَقَدْ كُنْتَ في شارِعِ كيمبِل ، وَهَشَّمْتَ نافِذَةَ العَرْضِ في مَتْجَرٍ وَسَرَقْتَ ساعَةً . »

قالَ غريغ : « ماذا ؟ لَمْ أَكُنْ أَنا ! لَمْ أَكُنْ هُناكَ ! »

قالَ الوالِدُ : « إنَّهُ متجرُ زوجةِ السيِّدِ هاريس .»

قالتِ الشُّرْطيَّةُ : « لقدْ رأتْكَ زوْجةُ السيِّدِ هاريس . إنَّها تعرِفُ شكْلَكَ جيِّداً .»

قالَ السيِّدُ ماسون : « رُبَّما كانتِ السيِّدةُ مُخطِئةً ، ولعلَّهُ شخصٌ آخرُ .»

قالَ الشُّرْطيُّ : « لقدْ رأتْ وجْهَ غريغ .»

أسْرعَ غريغ يقولُ : « إذاً أينَ هذهِ السّاعةُ ؟ إنَّها ليْستْ معي . انْظُروا .» ورفعَ ذِراعَيْهِ إلى أعْلى مُدلِّلاً على كلامِهِ .

نظَرَ الشُّرْطيُّ إلى السيِّدِ ماسون وقالَ : « رُبَّما يكونُ قدْ تركَها معَ شخصٍ آخرَ وهُوَ في طريقِهِ إلى المنْزِلِ .»

قالَ غريغ : « ماذا ؟ ماذا قُلْتَ ؟ إنَّني لمْ أسْمعْكَ .»

التفتَ الشُّرْطيُّ إلى غريغ ، وقالَ : « يجِبُ أنْ تحضُرَ بعْدَ ظُهْرِ الغدِ إلى مقرِّ الشُّرْطةِ وسوْفَ نُكمِلُ حديثَنا معَكَ .»

وانْتصبَتِ الشُّرْطيَّةُ واقفةً ، واصْطحَبَهُمُ السيِّدُ ماسون إلى البابِ الأماميِّ . وأحسَّ غريغ بأنَّهُ يريدُ أنْ يصرُخَ فيهِمْ : « لمْ أكُنْ أنا ! إنَّهُ القرينُ ! القرينُ هُوَ الّذي سلَبَ السّاعةَ !»

أرادَ أنْ يصرُخَ بِهذا ، ولكِنَّ شيْئاً ما جعَلَهُ يُحجِمُ .

وعادَ السيِّدُ ماسون ، وقالَ لابْنِهِ : « لقدْ كُنْتَ ، يا غريغ ، في شارِعِ كيمبِل بعْدَ ظُهْرِ اليوْمِ ، ولكِنَّني لمْ أخبِرْهُمْ بِذلِكَ ؛ فهذا شيْءٌ لا يُقالُ .»

صاحَ غريغ : « لمْ أكُنْ في شارِعِ كيمبِلِ اليوْمَ ، ولقدْ أخبَرْتُكَ بِذلِكَ مِنْ قبْلُ !»

نظَرَ الوالِدانِ إليْهِ ، ثُمَّ قالتْ أمُّهُ : « أنْتَ مُحتاجٌ للنَّوْمِ قليلاً ، يا غريغ ، فاذْهبْ إلى فِراشِكَ .»

وصعِدَ غريغ إلى حُجرَتِهِ وهُوَ يتساءَلُ : « أحقّاً كُنْتُ في شارِعِ كيمبِلِ اللَّيْلةَ ؟» وتذكَّرَ كلِماتِ الشُّرْطيِّ عنْ طالِبَيِ الكُلِّيَّةِ ، عِنْدَما قالَ : « بدا الأمْرُ وكأنَّهُما شخْصانِ مُختلِفانِ .»

وهكذا عرَفَ غريغ أنَّهُما شخْصانِ مُختلِفانِ . إنَّهُما قريناهُما ! لقدْ أجْرى القرينانِ عمَلِيَّةَ التَّحْويلِ .

قالَ لِنفْسِهِ : « لقدْ لقِيا مصْرعَهُما . ماذا قالَ قريني ؟ قالَ ثمَّةَ أرْبعةُ قُرناءَ ، ويُصبِحونَ خمْسةً بِالإضافةِ إلى قريني . والآنَ ماتَ اثْنانِ . تُرى هلْ أنا في طريقي إلى الموْتِ بعْدَهُما ؟»

* * *

« إنَّ بعضَ الأشياءِ تحدُثُ الآنَ . هلْ هذا حُلْمٌ ؟ »

كانَ ثمَّةَ أوْجُهٌ . أوْجُهٌ تُشْبِهُ وَجْهَ غريغ ، أوْجُهٌ كثيرَةٌ ، ثمَّ وَجْهٌ واحِدٌ فقطْ – وَجْهُهُ هُوَ ، وَلكِنَّهُ ليْسَ وَجْهَهُ ! والوَجْهُ الآنَ يصيرُ أكْبَرَ ، وأكْبَرَ ، وأكْبَرَ . وَصاحَ غريغ : « لا ! لا ! كفى ! كفى ! »

قالَ صَوْتٌ آخَرُ : « لِماذا ؟ لِماذا ؟ كفى لِمَنْ ؟ »

صاحَ غريغ ثانيَةً : « كفى ! مَنْ أنْتَ ؟ ماذا تكونُ ؟ »

قالَ الصَّوْتُ ثانيَةً : « لماذا ؟ لماذا لا أسْتَطيعُ ...؟ »

وَتوقَّفَ الصَّوْتُ . وَاعْتَدَلَ غريغ في فِراشِهِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « هَلْ كانَ هذا حُلْماً ؟ »

كانَتْ غُرْفَتُهُ مُعْتِمَةً ، وَلَكِنَّهُ غادَرَ الفِراشَ وَسارَ نَحْوَ النّافذَةِ ، وَنَظَرَ إلى الخارِجِ وَكانَ القَمَرُ مُتَلألئاً في السَّماءِ ، وَالأرْضُ مَكْسُوَّةً بِبِساطٍ أبْيَضَ ، وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِناً .

قالَ لِنَفْسِهِ : « ماذا حَدَثَ ؟ هَلْ أنا لا أزالُ أنا ؟ هَلْ لا أزالُ غريغ ماسون ؟ إنَّهُ أنا ، وَيَجِبُ أنْ أكونَ كَذلِكَ ، وَلكِنّي أعْرِفُ شَيْئاً : إنَّهُ القَرينُ . إنَّ القَرينَ حاوَلَ أنْ يُجْرِيَ التَّحْويلَ ! »

* * *

لَمْ يَتَساقَطِ الجَليدُ ثانِيَةً تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَكِنَّ الصَّباحَ كانَ بارِداً ، وَكانَ يَوْمَ سَبْتٍ ، وَفيهِ لا يَذْهَبُ غريغ إلى عَمَلِهِ .

نَزَلَ لِتَناوُلِ طَعامِ الإفْطارِ ، وَكانَتْ أمُّهُ قَدْ سَبَقَتْهُ إلى المَطْبَخِ .

سَألَتْهُ : « هَلْ سَتَخْرُجُ هذا الصَّباحَ ؟ »

أجابَ : « أجَلْ ، إنّي ذاهِبٌ لِمُقابَلَةِ مايْك . »

أرادَ أنْ يُفاتِحَهُ بِسِرِّهِ عَنِ القَرينِ ؛ فَهُوَ يَحْتاجُ إلى مُساعَدَتِهِ ، وَرُبَّما عَرَفَ الطَّريقَ الصَّوابَ الواجِبَ سُلوكُهُ .

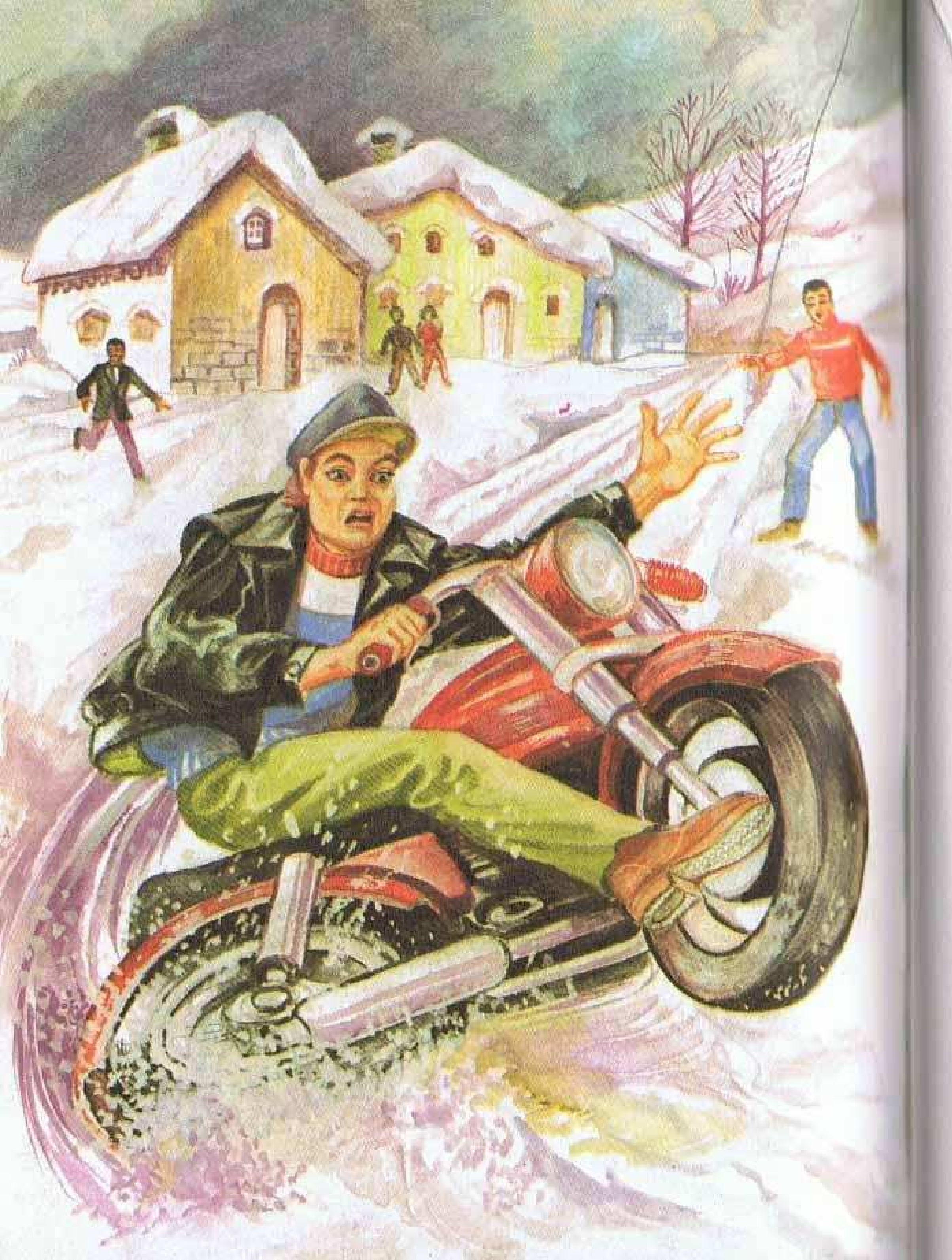
ذَكَّرَتْهُ أمُّهُ قائِلَةً : « لا تَنْسَ أنْ تُعَرِّجَ على مَقَرِّ الشُّرْطَةِ بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ . »

أجابَها : « لَنْ أنْسى . »

* * *

كانَتِ الشَّوارِعُ شِبْهَ خالِيَةٍ مِنَ النّاسِ ، فَقَدْ كانَ الطَّقْسُ شَديدَ البُرودَةِ فَلَمْ يُخاطِرْ أحَدٌ بِالخُروجِ . وَكانَ الثَّلْجُ يُغَطّي الطُّرُقَ ، وَراحَتِ السَّيّاراتُ تَتَحَرَّكُ بِبُطْءٍ يَكْسوها الثَّلْجُ .

وَفَجْأةً شاهَدَ دَرّاجَةً بُخارِيَّةً تَأتي مُسْرِعَةً مِنْ نِهايَةِ الشّارِعِ .



وَانْفَتَحَتْ عَيْناهُ على اتِّساعِهِما عِنْدَما رَأى وَجْهَ الرّاكِبِ .

قالَ : « داڤيد ! داڤيد بليك ! »

وَكانَ غريغ يَقْطُنُ بِالقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِ داڤيد بليك وَيَعْرِفُهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ .

قالَ غريغ مُتَعَجِّبًا : « ماذا يَفْعَلُ ؟ إِنَّهُ يَقودُ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ ، وَالثَّلْجُ يُغَطّي الطَّريقَ . هَذا شَيْءٌ في غايَةِ الخُطورَةِ ! سَوْفَ يَنْقَلِبُ ! »

كانَتِ الدَّرّاجَةُ البُخارِيَّةُ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ رَهيبَةٍ ، وَفَجْأَةً انْزَلَقَتِ العَجَلَةُ الخَلْفِيَّةُ إِلى جانِبِ الطَّريقِ ، فَانْقَلَبَتِ الدَّرّاجَةُ وراكِبُها .

صاحَ غريغ : « داڤيد ! »

وَأَقْبَلَتْ سَيّارَةٌ مِنَ الطَّرَفِ الآخَرِ لِلشّارِعِ ، وَكانَ داڤيد وَالدَّرّاجَةُ يَعْتَرِضانِ الطَّريقَ أَمامَ السَّيّارَةِ . وَحاوَلَ سائِقُ السَّيّارَةِ الوُقوفَ ، وَلٰكِنَّ عَجَلاتِهِ انْزَلَقَتْ عَلى الجَليدِ وَاصْطَدَمَ بِهِما .

وَجَرى غريغ إِلى الشّارِعِ ، وَخَرَجَ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ مِنْ مَنازِلِهِمْ عَلى سَماعِ الصَّوْتِ . وَكانَ داڤيد بليك مُمَدَّدًا عَلى الطَّريقِ الثَّلْجِيِّ وَقَدْ فارَقَتْهُ الحَياةُ . وَأَتى رَجُلٌ إِلى جانِبِ غريغ ، وَنَظَرَ إِلى داڤيد ثُمَّ سَأَلَ : « لِماذا فَعَلَ ذٰلِكَ ؟ هَلْ رَأَيْتَ الحادِثَ ؟ »

قالَ غريغ : « كانَ يَقودُ دَرّاجَتَهُ بِسُرْعَةٍ رَهيبَةٍ عَلى الطَّريقِ

الثَّلْجِيّ ، ولكنّي لا أفْهَمُ ؛ فَلَيْسَ لَدى داقيد دَرّاجَةٌ بُخارِيَّةٌ . »

قالَ الرَّجُلُ : « أنا أعْرِفُ ، فَهِيَ دَرّاجَتي البُخارِيَّةُ ، وَقَدْ سَرَقَها مِنْ مَنْزِلي ؛ لأنَّني رَأيْتُهُ . »

صاحَ غريغ : « هَذا كَذِبٌ . داقيد لا يَفْعَلُ مِثْلَ هَذِهِ الأشْياءِ . »

قالَ الرَّجُلُ : « لَقَدْ سَرَقَ دَرّاجَتي البُخارِيَّةَ ، وَقَدْ رَأتْهُ زَوْجَتي أيْضًا ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَجْهَلُ قِيادَةَ الدَّرّاجاتِ البُخارِيَّةِ على الطُّرُقِ الثَّلْجِيَّةِ . » وَسُرْعانَ ما حَضَرَ رِجالُ الشُّرْطَةِ ، وَكانوا رِجالاً مُخْتَلِفينَ وَلَمْ يَكُنْ غريغ يَعْرِفُهُمْ ، فَأخْبَرَهُمْ عَنِ الحادِثِ وَأنْصَتوا إلَيْهِ .

قالَ الرَّجُلُ : « لَقَدْ سَرَقَ دَرّاجَتي البُخارِيَّةَ . إنّي أعْرِفُهُ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ لِيَسْرِقَ دَرّاجَتي البُخارِيَّةَ . لَقَدْ كانَ يَبْدو وكَأنَّهُ شَخْصٌ آخَرُ مُخْتَلِفٌ ، ولَكِن بِوَجْهِ داقيد . »

قالَ غريغ لِنَفْسِهِ : « كانَ شَخْصاً مُخْتَلِفاً . ماتَ ثَلاثَةٌ مِنْهُمْ . هَلْ سَيَكونُ هُناكَ آخَرُ ؟ هَلْ سَيَكونُ أنا ؟ »

* * *

كانَ القَرينُ واقِفاً في نِهايَةِ الشّارِعِ الَّذي فيهِ بَيْتُ مايك .

قالَ غريغ : « أ هَذا أنْتَ ؟ »

أجابَ القَرينُ : « نَعَمْ . »

قالَ غريغ لِنَفْسِهِ : « إذًا فَأنا لا أزالُ أنا . »

قالَ القَرينُ : « لَنْ تَسْتَطيعَ إيقافي ؛ فَسَأُجْري عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ . لا بُدَّ ! »

قالَ غريغ : « أنْتَ ... أنْتَ حاوَلْتَ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ . »

قالَ القَرينُ : « نَعَمْ ، وَسَأُحاوِلُ ثانِيَةً . »

نَظَرَ إلَيْهِ غريغ هُنَيْهَةً ؛ نَظَرَ إلى وَجْهِهِ ، وَإلى جِسْمِهِ ، وَإلى مَلابِسِهِ ، وَإلى حِذائِهِ . كانَ مَنْظَرًا غَريبًا جِدًّا .

سَألَهُ غريغ : « لِماذا سَرَقْتَ السّاعَةَ مِنَ المَحَلِّ ؟ »

أجابَ : « لَقَدْ أرَدْتُها ؛ فَالسّاعاتُ أشْياءُ غَريبَةٌ عَنّا ، فَلَيْسَ في مَوْطِنِنا مِثْلُها . »

سَألَ غريغ : « وَأيْنَ مَوْطِنُكُمْ ؟ »

أجابَ القَرينُ : « هَذا لا يَهُمُّ الآنَ ، فَنَحْنُ لا نَسْتَطيعُ العَوْدَةَ . يَجِبُ أنْ نَبْقى هُنا . »

قالَ غريغ غاضِبًا : « لَقَدْ ماتَ ثَلاثَةٌ مِنْ أصْدِقائِكَ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ ماتَ ثَلاثَةُ رِجالٍ آخَرينَ : داقيد بليك وَطالِبانِ بِالكُلِّيَّةِ . لَقَدْ رَأيْتُ

حادثَ داڤيد . نعمْ لَقَدْ رَأيْتُهُ .»

قالَ القَرينُ : « ماتَ ثَلاثَةٌ ، إذاً يَتبقّى اثْنانِ مِنّا الآنَ ؛ لِذا فَإنَّ أحدَنا يَجِبُ أنْ يَعيشَ وَلا بُدَّ أنْ يكونَ أنا . يَجِبُ أنْ أجْرِيَ عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ وَأحيا .» وَمَشى مُبْتَعِداً .

ناداهُ غريغ : « انْتَظِرْ !»

تَوَقَّفَ القَرينُ قائِلاً : « ماذا تُريدُ ؟»

أجابَ غريغ : « يَجِبُ أنْ تُعيدَ السّاعَةَ ثانِيَةً إلى مَتْجَرِ زَوْجَةِ السَّيِّدِ هاريس . أيْنَ هِيَ ؟»

وَضَعَ القَرينُ يَدَهُ تَحْتَ مِعْطَفِهِ وَأخْرَجَ السّاعَةَ قائِلاً : « ها هِيَ ذي !»

قالَ غريغ : « يَجِبُ أنْ تُعيدَها عَلى ألا يَراكَ أحَدٌ .»

قالَ القَرينُ : « لِماذا ؟»

أجابَ غريغ : « لَقَدْ عَرَفَتِ الشُّرْطَةُ المَوْضوعَ ، وَرَأتْكَ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس . لَقَدْ رَأتْ وَجْهَكَ ... وَجْهي . لَقَدْ أخْبَرَتِ الشُّرْطَةَ بِأنّي سَرَقْتُها !»

وَضَعَ القَرينُ السّاعَةَ في جَيْبِ مِعْطَفِهِ ، وَقالَ : « سَأعيدُها . إنَّ

هذا لا يَهُمُّ الآنَ ؛ فَأنا لَمْ أعُدْ أُريدُها .»

اِسْتَدارَ غريغ وَسارَ في طَريقِهِ .

* * *

جاءَتْ والِدَةُ مايك لِتَفْتَحَ الباب ، وَرَحَّبَتْ بِهِ قائِلَةً : « أهْلاً بِكَ ، يا غريغ . هَلْ تُريدُ مُقابَلَةَ مايك ؟»

قالَ غريغ : « أجَلْ ، مِنْ فَضْلِكِ .»

قالَتْ : « إنَّهُ في غُرْفَتِهِ .»

صَعِدَ غريغ دَرَجاتِ السُّلَّمِ ، وَكانَ مايك في غُرْفَتِهِ بِجانِبِ النّافِذَةِ ، فَرَحَّبَ بِهِ قائِلاً : « أهْلاً ، يا غريغ ، تَفَضَّلْ بِالجُلوسِ .» وَجَلَسَ غريغ عَلى الفِراشِ .

قالَ مايك : « لَقَدْ لَعِبْتُ مُباراةً طَيِّبَةً اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ .»

سَألَهُ غريغ : « أيَّةُ مُباراةٍ ؟»

ابْتَسَمَ مايك قائِلاً : « مُباراةُ البِلياردو ، وَلكِنَّكَ لَمْ تُجِدِ اللَّعِبَ ، ألَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَ غريغ : « لَمْ أُجِدِ اللَّعِبَ ؟»

قالَ مايك : « إنَّكَ لَمْ تُجِدِ اللَّعِبَ كَعادَتِكَ ؛ فَفي أوْقاتٍ أُخْرى

كُنْتَ تَلْعَبُ أفْضَلَ مِنَ الأمْسِ .»

عِنْدَئِذٍ قالَ غريغ : « لَمْ أكُنْ أنا ، يا مايك !»

قالَ مايك وَقَدْ غادَرَتْ الابْتِسامَةُ وَجْهَهُ : « عَمَّ تَتَحدَّثُ ؟»

قالَ غريغ مَرَّةً ثانِيَةً : « لَمْ أكُنْ أنا . كانَ شَخْصاً آخَرَ ... شَخْصاً يُشْبِهُني تَماماً .»

قالَ مايك : « أنا لا أفْهَمُ !»

سَألَهُ غريغ : « هَلْ تَعْرِفُ داڤيد بليك ؟»

قالَ مايك : « داڤيد ؟ أعْرِفُهُ جيِّداً . لِماذا تَسْألُ ؟»

قالَ غريغ : « لَقَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ !»

رَدَّدَ مايك بِدَهْشَةٍ : « لَقِيَ مَصْرَعَهُ !»

وَأخْبَرَهُ غريغ بِحادِثِ انْقِلابِ الدَّرّاجَةِ البُخارِيَّةِ .

قالَ مايك : « وَلكِنْ ... وَلكِنْ داڤيد لا يَسْتَوْلي عَلى أشْياءَ تَخُصُّ غَيْرَهُ مِنَ النّاسِ .»

قالَ غريغ : « إنَّهُ لَمْ يَكُنْ داڤيد . إنَّهُ شَخْصٌ شَديدُ الشَّبَهِ بِهِ .»

قالَ مايك : « إذاً فَمَنِ الَّذي ماتَ ؟ غريغ ، ماذا تَقولُ ؟»

قالَ غريغ : « لَقَدْ ماتَ داڤيد . أجْرى قَرينُهُ عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ ، وَهكَذا ماتَ .»

قالَ مايك : « قَرينَ ؟ تَحْويلَ ؟ عَمَّ تَتَحدَّثُ ، يا غريغ ؟»

رَدَّ غريغ : « سَوْفَ أخْبِرُكَ .» وَأخْبَرَهُ عَنْ قَرينِهِ ، وَعَنِ الطّالِبينَ وَالحَريقِ ، وَأخْبَرَهُ عَنِ الأطْباقِ الطّائِرَةِ .

سَألَهُ مايك : « لِماذا تُحَدِّثُني عَنِ الأطْباقِ الطّائِرَةِ ؟»

أجابَ غريغ : « حَقيقَةً لا أعْرِفُ . وَلكِنْ مِنَ المُحْتَمَلِ أنَّ القُرَناءَ قَدِموا في الأطْباقِ الطّائِرَةِ .»

وَالتَزَما الصَّمْتَ هُنَيْهَةً قالَ مايك بَعْدَها : « هَلْ أخْبَرْتَ أيَّ شَخْصٍ آخَرَ بِهذا ؟»

رَدَّ غريغ : « لا . ماذا أفْعَلُ الآنَ ، يا مايك ؟»

قالَ مايك مُتَعَجِّباً : « أنْتَ رَأيْتَ قَرينَكَ ، فَهَلْ رَأى داڤيد قَرينَهُ أيْضاً ؟ أوْ هَلْ أجْرى قَرينُ داڤيد عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ وَلَمْ يَعْلَمْ بِها داڤيد ؟»

قالَ غريغ : « إنّي أشُكُّ في هذا .»

قالَ مايك : « رُبَّما أجْرى القَرينُ عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ ، وَداڤيد

لا يَعْلَمُ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ قِيامُ قَرِيني الطّالِبِيْنِ بِذَلِكَ أَيْضاً .»

قالَ غريغ : « وَلَكِنْ لِماذا لَمْ يَقُمْ قَرِيني بِذَلِكَ ؟»

قالَ مايك : « لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُفَسِّرَ ذَلِكَ . رُبَّما لا يَقْدِرُ ، وَرُبَّما أَرادَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ .»

وَتَذَكَّرَ غريغ الصَّوْتَ الَّذي كانَ يَتَرَدَّدُ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ : «لِماذا؟ لِماذا ؟ ما الَّذي يَعوقُني ؟» وَقالَ لِمايك : « مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تَكونَ عَلى صَوابٍ .»

قالَ مايك : « إِذاً فَما الَّذي يَعوقُهُ ؟ أَوَدُّ رُؤْيَةَ هَذا القَرِينِ .»

قالَ غريغ : « أَنْتَ رَأَيْتَهُ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ .»

قالَ مايك : « وَلَكِنّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَيْنَ هُوَ الآنَ ؟»

قالَ غريغ : « رُبَّما هُوَ في طَريقِهِ لإِعادَةِ السّاعَةِ إِلى مَكانِها .»

قالَ مايك : « أَيَّةَ ساعَةٍ تَقْصِدُ ؟»

وَأَخْبَرَهُ غريغ ، ثُمَّ أَضافَ : « نَسْتَطِيعُ أَنْ نَذْهَبَ إِلى المَتْجَرِ وَنَرى ، وَلَكِنّي لا أَوَدُّ دُخولَهُ .»

قالَ مايك : « سَوْفَ أَذْهَبُ أَنا إِلى المَتْجَرِ ، وَيُمْكِنُكَ الانْتِظارُ في نِهايَةِ الشّارِعِ .»

قالَ غريغ : « هُوَ ذاكَ .»

* * *

كادَ شارِعُ كيمبِل أَنْ يَخْلُوَ مِنَ المارَّةِ اللَّهُمَّ إِلّا سَيِّدَتَيْنِ عِنْدَ النّاصِيَةِ وَشاباً يَسيرُ في الشّارِعِ وَمَعَهُ كَلْبٌ لَوْنُهُ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ .

وَقَفَ غريغ وَمايك في نِهايَةِ الشّارِعِ .

قالَ غريغ : « أَنا لا أَرى القَرِينَ .»

قالَ مايك : « مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ الآنَ في طَريقِهِ ، أَوْ أَنْ يَكونَ قَدْ جاءَ بِالفِعْلِ .»

اقْتَرَبَ الشّابُّ وَمَعَهُ الكَلْبُ ذو اللَّوْنَيْنِ الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ مِنْ غريغ وَمايك .

قالَ مايك : « إِنَّهُ بِل هاربَر .» وَكانَ كُلٌّ مِنْ غريغ وَمايك يَعْرِفانِ الشّابَّ .

قالَ غريغ : « أَهْلاً ، يا بِل .»

رَدَّدَ مايك : « أَهْلاً ، يا بِل .» وَذَهَبَ لِيَمْسَحَ عَلى الكَلْبِ ، فَصاحَ فيهِ بِل هاربَر : « دَعْهُ ! لا تَلْمِسْهُ !»

دَهِشَ مايك وَقالَ : « إِنَّهُ أَنا يا بِل ، وَقَدْ أَرَدْتُ فَقَطْ أَنْ أُداعِبَ

كَلْبَكَ .»

نَظَرَ الشّابُّ إِلَيْهِما وَلَمْ يَبْتَسِمْ أَوْ يَتَكَلَّمْ ، ثُمَّ تابَعَ سَيْرَهُ يَتْبَعُهُ كَلْبُهُ . بَدَأَ غريغ يَقولُ : « هَلْ تَظُنُّ ...؟»

قاطَعَهُ مايك بِعَصَبِيَّةٍ : « إِنَّهُ يُشْبِهُ بِل هاربَر تَماماً .»

دارَ بِل هاربَر أَوْ شَبيهُهُ حَوْلَ ناصِيَةِ الشّارِعِ ثُمَّ اخْتَفى .

قالَ مايك : « سَأَذْهَبُ الآنَ إِلى مَتْجَرِ زَوْجَةِ السَّيِّدِ هاريس .»

قالَ غريغ : « سَأَنْتَظِرُكَ هُنا .»

كانَ مَتْجَراً صَغيراً مَليئاً بِالتُّحَفِ العَتيقَةِ ، وَكانَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس عَجوزاً اشْتَعَلَ رَأْسُها شَيْباً .

قالَ مايك : « أَهْلاً ، يا سَيِّدَتي !»

قالَتْ : « أَهْلاً ، يا مايك ! هَلْ تَنْوي ابْتِياعَ شَيْءٍ ؟»

قالَ مايك مُتَلَعْثِماً : « كِتابٍ . . . سَأَرى تِلْكَ الأَشْياءَ الَّتي هُناكَ .» وَعَبَرَ إِلى رُكْنِ المَتْجَرِ ، وَكانَتْ ثَمَّةَ نافِذَةٌ مَكْسورَةٌ في أَحَدِ الجَوانِبِ ، وَقَدْ وُضِعَتْ قِطْعَةُ خَشَبٍ فَوْقَ الثُّقْبِ الَّذي بِها .

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « الطَّقْسُ رَديءٌ !»

قالَ مايك : « نَعَمْ ، كانَتِ اللَّيْلَةُ الماضِيَةُ قارِسَةَ البَرْدِ .»

قالَتْ : « نَعَمْ لَمْ أَسْتَطِعْ فيها النَّوْمَ .»

سَأَلَ مايك : « لِمَ لَمْ تَنامي ؟»

قالَتْ : « جاءَتِ الشُّرْطَةُ .»

قالَ مايك : « ماذا تُريدُ الشُّرْطَةُ ؟»

قالَتْ : « لَقَدْ جاءوا مِنْ أَجْلِ سَرِقَةِ ساعَةٍ . لَقَدْ سَرَقَ غريغ ماسون ساعَةً مِنْ نافِذَةِ العَرْضِ في مَتْجَري .»

قالَ مايك : « غريغ ماسون سَرَقَ ساعَةً ؟ أَنا لا أُصَدِّقُ هَذا !»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ رَأَيْتُهُ . لَقَدْ كَسَرَ نافِذَةَ العَرْضِ الجانِبِيَّةَ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ وَسَرَقَ السّاعَةَ . لَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ .»

قالَ مايك : « وَلَكِنْ لِماذا يَسْرِقُ غريغ ساعَةً ؟»

قالَتْ : « أَنا لا أَعْرِفُ ، وَلَكِنْ أَعادَها ثانِيَةً هَذا الصَّباحَ .»

قالَ مايك : « هَلْ فَعَلَ ؟ هَلْ رَأَيْتِهِ ؟»

قالَتْ : « لا ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَها ، وَهَكَذا أَعادَها ثانِيَةً .»

قالَ مايك : « مَتى كانَ هَذا ؟»

رَدَّتِ السَّيِّدَةُ هاريس : « كانَ ذَلِكَ في حَوالى الحادِيَةَ عَشْرَةَ ، فَقَدْ صَعِدْتُ لأُعِدَّ فِنْجاناً مِنَ القَهْوَةِ ، ثُمَّ هَبَطْتُ لأَجِدَ السّاعَةَ عَلى

المِنْضَدَةِ . انْظُرْ ، إِنَّها لا تَزالُ هُناكَ .»

كانَتْ ثَمَّةَ مِنْضَدَةٌ صَغيرَةٌ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الغُرْفَةِ ، وَرَأى مايك السّاعَةَ مَوْضوعَةً عَلَيْها .

قالَ مايك : « لَمْ يَكُنْ غريغ هُوَ الَّذي أَحْضَرَها ، يا سَيِّدَتي ؛ فَقَدْ كانَ مَعي في ذَلِكَ الوَقْتِ ، وَسَوْفَ تُخْبِرُكِ أُمّي بِذَلِكَ أَيْضاً ؛ لأَنَّها رَأَتْهُ . لَقَدْ حَضَرَ إلى مَنْزِلِنا في السّاعَةِ العاشِرَةِ .»

دَهِشَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس وَقالَتْ : « وَلَكِنّي لا أَفْهَمُ !»

قالَ مايك : « مِنَ المُحْتَمَلِ أَلا يَكونَ هُوَ الذي سَرَقَ السّاعَةَ ، يا سَيِّدَتي ، وَرُبَّما كُنْتِ مُخْطِئَةً .»

فَكَّرَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قالَتْ : « لَقَدْ كانَتْ لَيْلَةً حالِكَةَ الظُّلْمَةِ ، وَرُبَّما كُنْتُ مُخْطِئَةً ، وَرُبَّما كانَ السّارِقُ شَبيهاً بِغريغ . يا لَلْعَجَبِ !»

قالَ مايك : « لَقَدْ عادَتْ إِلَيْكِ ساعَتُكِ .»

قالَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس : « نَعَمْ ، وَيَجِبُ أَنْ أَتَّصِلَ بِالشُّرْطَةِ ، فَلا بُدَّ مِنْ إِبْلاغِهِمْ ، فَقَدْ كُنْتُ مُخْطِئَةً .»

قالَ مايك : « هَذا أَفْضَلُ عَمَلٍ تَقومينَ بِهِ .» وَأَخَذَ كِتاباً وَاتَّجَهَ إِلَيْها قائِلاً : « هَلْ يُمْكِنُني أَنْ أَشْتَرِيَهُ ؟»

نَظَرَتِ السَّيِّدَةُ إلى الكِتابِ وَقالَتْ : « إِنَّهُ كِتابٌ عَنِ الأَطْباقِ الطّائِرَةِ . أَنْتَ لا تُصَدِّقُ هَذِهِ الأَشْياءَ ؟ هَلْ تُصَدِّقُ ؟»

رَدَّ مايك : « لا أَعْرِفُ يا سَيِّدَةُ هاريس ، لا أَعْرِفُ .»

* * *

سَأَلَهُ غريغ : « ما الَّذي حَدَثَ ؟»

أَجابَ مايك : « إِنَّها سَتَتَّصِلُ بِالشُّرْطَةِ ، فَقَدْ أُعيدَتِ السّاعَةُ وَقالَتْ لَعَلَّها كانَتْ مُخْطِئَةً .»

قالَ غريغ : « شُكْراً ، يا مايك . شُكْراً لِمُساعَدَتِكَ .»

وَابْتَعَدا عَنْ شارِعِ كيمْبِل .

قالَ مايك : « أُريدُ أَنْ أَرى قَرينَكَ .»

قالَ غريغ : « إِنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ مَعي في وُجودِ أُناسٍ آخَرينَ .»

فَكَّرَ مايك لَحْظَةً ثُمَّ قالَ : « لَنْ أَكونَ مَعَكَ ، وَهُوَ لَنْ يَراني ، وَلَكِنّي سَأَكونُ قَريباً مِنْكُما .» وَذَهَبا إلى الحَديقَةِ ، وَجَلَسَ غريغ عَلى مَقْعَدٍ في رُكْنٍ قَريبٍ مِنْ بَعْضِ الشُّجَيْراتِ ، وَاخْتَبَأَ مايك خَلْفَها .

جَلَسَ غريغ يَنْتَظِرُ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَمْ أَكُنْ خائِفاً مِنْ قَبْلُ ،

وَلكِنّي خائِفٌ الآنَ .» وَظَلَّ يُراقِبُ الأطْفالَ وَهُمْ يَتَراشَقونَ بِالثَّلْجِ . ثُمَّ بَعْدَ قَليلٍ غَلَبَهُ النُّعاسُ .

طَنَّ صَوْتٌ في رَأْسِهِ : « يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ ! يَجِبُ ! يَجِبُ !»

وَامْتَلأَ رَأْسُ غريغ بِصَدى الصَّوْتِ .

« لماذا ؟ لماذا ؟ ما الَّذي يَعوقُني ؟»

وَ وَضَعَ غريغ يَدَيْهِ فَوْقَ وَجْهِهِ وَهُوَ يَصْرُخُ : « كَفى ! كَفى !» وَقالَ الصَّوْتُ غاضِباً : « الآنَ ! الآنَ .» ثُمَّ هَدَأَ الصَّوْتُ بِبُطْءٍ .

وَرَفَعَ غريغ يَدَيْهِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ . وكانَ القَرينُ أَمامَهُ في غايَةِ الغَضَبِ .

قالَ القَرينُ : « ما الَّذي تَفْعَلُهُ ؟ ما الَّذي تَفْعَلُهُ لِتَعوقَني ؟ يَجِبُ أَنْ أُجْرِيَ عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ ! يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَني !»

قالَ غريغ : « أنا .. أنا لا أَعْرِفُ .»

اسْتَدارَ القَرينُ وَراحَ يَبْتَعِدُ . وَ وَضَعَ غريغ رَأْسَهُ بَيْنَ راحَتَيْهِ وَأَخَذَ يَنْظُرُ إلى الثَّلْجِ ، وَكانَ يَشْعُرُ بِالغَثَيانِ وَشِدَّةِ الإِرْهاقِ .

صاحَ القَرينُ ثانِيَةً : « ما الخَطَأُ ؟ سَوْفَ أَعْرِفُ ! سَأُجْري التَّحْويلَ ! سَوْفَ أَعْرِفُ اليَوْمَ !» وَلكِنَّ غريغ كانَ في وادٍ آخَرَ .

* * *

خَرَجَ مايك مِنْ خَلْفِ الشُّجَيْراتِ وَرَفَعَ غريغ إِلَيْهِ بَصَرَهُ وَسَأَلَهُ : « هَلْ رَأَيْتَهُ ؟»

أَجابَ مايك بِهُدوءٍ : « أَجَلْ ، وَإِنْ كُنْتُ لا أَزالُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ .»

وَهَبَّ غريغ واقِفاً ، وَسارا مَعاً عَلى طولِ المَمَرِّ .

قالَ مايك : « سَوْفَ نَذْهَبُ صَوْبَ البُحَيْرَةِ ، فَلَنْ يَكونَ البَرْدُ شَديداً هُناكَ في المُنْخَفَضِ ، وَلَنْ تَكونَ الرّيحُ عاصِفَةً .»

وَاتَّخَذا طَريقَهُما إلى سَفْحِ التَّلِّ بَيْنَ بَعْضِ الأَشْجارِ الباسِقَةِ ، وَكانَتِ البُحَيْرَةُ مُمْتَدَّةً عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الأَشْجارِ .

قالَ غريغ : « حاوَلَ القَرينُ إجْراءَ التَّحْويلِ .»

قالَ مايك : « نَعَمْ ، لَقَدْ سَمِعْتُ صُراخَكَ وَكِدْتُ آتي لِلْمُساعَدَةِ ، وَلكِنَّكَ تَوَقَّفْتَ ، ثُمَّ ظَهَرَ القَرينُ فَجْأَةً . لَقَدْ راقَبْتُكُما بَعْدَ ذلِكَ . إِنَّهُ شَيْءٌ غَريبٌ لِلْغايَةِ !»

وَكانَتِ البُحَيْرَةُ الواسِعَةُ تَمْتَدُّ أَمامَهُما ، وَقَدْ غَطَّتْها طَبَقَةٌ رَقيقَةٌ مِنَ الجَليدِ .

قالَ مايك : « انْظُرْ ، ها هُوَ ذا بِل هاربر ثانِيَةً .»

نَظَرَ غريغ فَرأى الشّابَّ يَسيرُ عَلى طولِ المَمرّ ، وَيَجْري أمامَهُ الكَلْبُ ذو اللَّوْنينِ الأسْوَدِ وَالأبْيَضِ .

قالَ غريغ : « انْظُرْ ! ما الّذي يَفْعَلُهُ ؟ »

ابْتَعَدَ بل هاربر في سَيْرِهِ عَنِ المَمَرّ ، ثُمَّ مَشى فَوْقَ طَبَقَةِ الجَليد الرَّقيقَةِ الّتي تُغَطّي البُحَيْرَةَ .

صاحَ مايك : « قِفْ ! قِفْ وَإلّا فَسَتَسْقُطَ وَسْطَ الجَليدِ إلى الماءِ ! »

وَيَبْدو أنَّ بِل هارْبَر لَمْ يَسْمَعْهُ ، وَاسْتَمَرَّ في سَيْرِهِ فَوْقَ الجَليدِ الرَّقيقِ الّذي بَدَأَ يَتَهَشَّمُ . وَحاوَلَ الكَلْبُ ذو اللَّوْنَيْنِ الأسْوَدِ وَالأبْيَض جَذْبَهُ إلى الخارِجِ ، وَجَرى إلَيْهِ غريغ وَمايك عَلى طولِ المَمَرِّ .

صاحَ غريغ : « انْتَظِرْ ! قِفْ ! » ولكِنَّ بِل هارْبَر لَمْ يَقِفْ . وَفَجْأةً غاص وَسْطَ الجَليدِ إلى الماءِ . وَجَرى أناسٌ آخَرونَ عَلى طولِ المَمَرِّ ، وكانوا عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ البُحَيْرَةِ .

وَطَفا رَأسُ بِل هارْبَر إلى أعْلى ثَلاثَ مَرّاتٍ ، ثُمَّ هَبَطَ إلى القاعِ وَلَمْ يَظْهَرْ ثانِيَةً .

* * *

وَقَفَ غريغ وَمايك وَمَعَهُما أناسٌ آخَرونَ بِجانِبِ البُحَيْرَةِ ، وكانَتْ ثَمَّةَ عَرَبَةُ شُرْطَةٍ تَقِفُ بِجانِبِ الأشْجارِ ، وَكانَ بَعْضُ رِجالِ الشُّرْطَةِ يَجوبونَ البُحَيْرَةَ في قارِبٍ وَ واحِدٌ مِنْهُمْ يَبْحَثُ في الماءِ .

سَأَلَ غريغ مايك : « تُرى هَلْ سَيَجِدونَهُ ؟ »

أجابَ مايك : « لا أعْرِفُ . »

وَكانا يَرْتَعِدانِ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ ، وَمَكَثا بَعْدَ الحادِثِ بِجانِبِ البُحَيْرَةِ نَحْوَ ساعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ . وَأخْبَرا شُرْطِيَّةً بِكُلِّ ما رَأياهُ عَنْ بِل هاربر وَالحادِثِ . وَحَكى أيْضاً رَجُلٌ وَسَيِّدَةٌ القِصَّةَ نَفْسَها .

وَأضافَتِ السَّيِّدَةُ مُتَسائِلَةً : « هَلْ كانَ يَجْهَلُ خُطورَةَ طَبَقَةِ الجَليدِ الرَّقيقَةِ ؟ لَقَدِ اسْتَمَرَّ في السَّيْرِ وَبَدَأ الجَليدُ يَتَهَشَّمُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ . لَقَدْ صَرَخْنا فيهِ ، كَما صَرَخَ فيه هَذانِ الشّابّان ، وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ في سَيْرِهِ . ألَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الجَليدِ ؟ » وَفَجْأةً سُمِعَتْ صَرْخَةٌ مِنَ القارِبِ .

قالَتِ الشُّرْطِيَّةُ : « لَقَدْ وَجَدوهُ ، وَسَأبْعَثُ بِإشارَةٍ لاسِلْكِيَّةٍ أطْلُبُ سَيّارَةَ الإسْعافِ . »

ابْتَعَدَ غريغ عَنِ المَكانِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَوَدُّ أنْ يَرى سَيّارَةَ إسْعافٍ أخْرى .

وَغادَرَ مايك وَغريغ الحَديقَةَ .

قالَ غريغ : « إنَّ قَريني هُوَ الوَحيدُ الباقي الآنَ .»

قالَ مايك : « نَعَمْ ، إنّي أعْرِفُ ذَلِكَ .»

قالَ غريغ : « إنَّهُمْ لا يَفْهَمونَ أشياءَ كَثيرَةً ، فَهُمْ يَعْرِفونَ بَعْضَ الأشْياءِ وَيَجْهَلونَ غَيْرَها .»

قالَ مايك : « نَعَمْ ، وَهُمْ يَموتونَ . لِماذا يَموتونَ ؟ لأنَّهُمْ لا يَعْرِفونَ ؛ فَهُمْ لا يَعْرِفونَ شَيْئًا عَنِ الثَّلْجِ ، وَلا يَعْرِفونَ شَيْئًا عَنِ النّارِ ، وَلا يَعْرِفونَ شَيْئًا عَنِ الدَّرّاجَةِ في طَريقٍ جَليدِيٍّ .» .

قالَ غريغ : « وَلِذا فَهُمْ يَموتونَ ، وَمَعَهُمُ الأشْخاصُ الحَقيقيّونَ . أنا ... أنا لا أريدُ أنْ أموتَ !»

قالَ مايك : « عَلَيْنا أنْ نوقِفَ قَرينَكَ .»

قالَ غريغ : « وَلَكِنْ كَيْفَ ؟»

قالَ مايك : « لا أعْرِفُ ، وَلَكِنْ يَجِبُ أنْ نَجِدَ وَسيلَةً بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُ ، فَأنْتَ سَمِعْتَ كَلِماتِ القَرينِ .»

سَأل غريغ : « أيَّةُ كَلِماتٍ ؟»

قالَ : « أ لا تَذْكُرُ ؟ لَقَدْ قالَ : ‹‹ ما الخَطَأ ؟ سَوْفَ أعْرِفُ .

سَوْفَ أجْرى عَمَلِيَّةَ التَّحْويلِ ! سَوْفَ أعْرِفُ اليَوْمَ ! ›› »

سَألَهُ غريغ بِدَهْشَةٍ : « مَتى قالَ ذَلِكَ ؟»

قالَ مايك : « هَذا الصَّباحَ ، في الحَديقَةِ ، لَقَدْ سَمِعْتُ ...» ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الكَلامِ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْناهُ فَجْأةً ، وَقالَ : « أنا أعْرِفُ الآنَ .»

سَألَهُ غريغ : « عَمَّ تَتَكَلَّمُ ، يا مايك ؟»

أجابَ مايك : « لَقَدْ عَرَفْتُ الآنَ لِماذا لا يَسْتَطيعُ القَرينُ إجْراءَ التَّحْويلِ .»

سَألَهُ غريغ : « لِماذا ؟ أخْبِرْني !»

قالَ مايك : « إنَّهُ يَعْرِفُ الكَثيرَ عَنْكَ . وَلَكِنَّهُ يَجْهَلُ أمْرًا واحِدًا . وَهُوَ لَيْسَ مِثْلَكَ تَمامًا ؛ لأنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْكَ في هَذا الأمْرِ ، وَهَكَذا لَنْ يَسْتَطيعَ إجْراءَ التَّحْويلِ .»

سَألَ غريغ : « ما الَّذي يَجْهَلُهُ عَنّي ؟»

نَظَرَ مايك إلى غريغ ، فَهُوَ دائِمًا ما يَنْظُرُ إلى غريغ عِنْدَ الحَديثِ مَعَهُ . وَنَظَرَ غريغ إلى مايك ، فَهُوَ أيْضًا يَنْظُرُ إلى وُجوهِ النّاسِ لِيَعْرِفَ ما يَقولونَ .

قالَ مايك : « أنْتَ أصَمُّ ، أنْتَ مُخْتَلِفٌ عَنّا : فَأنْتَ لا تَسْمَعُ .

إنَّكَ لَتُمعِنُ النَّظَرَ في وَجْهِ وَشَفَتَيْ مَنْ يُكَلِّمُكَ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَسْتَطيعُ أنْ تَفْهَمَهُ ، وَالقَرينُ يَجْهَلُ هَذا عَنْكَ .»

وَصَمَتَ غريغ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قالَ : « نَعَمْ إِنَّكَ على صَوابٍ ، وَلَكِنْ لِماذا قُلْتَ : « أنا أَعْرِفُ الآنَ ؟» »

قالَ مايك : « هَلْ تَذْكُرُ جُلوسَكَ في الحَديقَةِ ؟ لَقَدْ تَرَكَكَ القَرينُ هُناكَ وَخَرَجَ وَهُوَ يَصْرُخُ بِهَذِهِ الكَلِماتِ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ نَحْوَكَ وَهُوَ يَقولُها ، وَهَكَذا لَمْ تَرَ أَنْتَ وَجْهَهُ ، أَنْتَ أَصَمُّ ، وَهُوَ يَجْهَلُ ذَلِكَ .»

وَفَجْأَةً رَنَّ صَوْتٌ في رَأْسِ غريغ قائِلاً : « وَلَكِنِّي أَعْرِفُ الآنَ ! أنا أَعْرِفُ الآنَ ، وَأَعْرِفُ ما سَأَفْعَلُهُ تَماماً !»

وَوَضَعَ غريغ يَدَيْهِ عَلى رَأْسِهِ صائِحاً : « كَفى ! كَفى !»

* * *

وَتَهَيَّأَ غريغ وَمايك لِلْعَوْدَةِ إِلى مَنْزِلَيْهِما ، وَقالَ مايك مُوَدِّعاً غريغ : « سَأَراكَ غَداً ، وَسَأُعْمِلُ فِكْري لأَجِدَ حَلًّا .»

قالَ غريغ مُتَسائِلاً : « هَلْ ثَمَّةَ حَلٌّ ؟»

وَعادَ غريغ إِلى مَنْزِلِهِ ، وَكَذَلِكَ مايك . وَفي المَنْزِلِ قالَتْ والِدَةُ غريغ : « لَقَدِ اتَّصَلَتْ بِنا الشُّرْطَةُ .»

سَأَلَها غريغ : « ماذا قالوا ؟»

قالَتْ : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ، فَقَدِ اتَّصَلَتْ بِهِمْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ هاريس لِتُبْلِغَهُمْ بِأَنَّها اسْتَعادَتِ السَّاعَةَ . كَما ذَكَرَتْ لَهُمْ أَنَّها رُبَّما كانَتْ مُخْطِئَةً وَلَمْ يَكُنْ أَنْتَ الفاعِلَ .»

قالَ غريغ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كانَتْ مُخْطِئَةً ، وَلَكِنْ لَيْسَ هذا ما يَشْغَلُني الآنَ .»

لَمْ يَنَمْ غريغ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « سَيُحاوِلُ القَرينُ إِجْراءَ عَمَلِيَّةِ التَّحْويلِ اللَّيْلَةَ .» وَلَكِنَّ القَرينَ لَمْ يَحْضُرْ . وَفي الصَّباحِ ذَهَبَ لِمُقابَلَةِ مايك وَكانَ الثَّلْجُ يَكْسو الأَرْضَ وَلَكِنَّ الشَّمْسَ كانَتْ مُشْرِقَةً . وَكانَ مايك في الحَديقَةِ ، بِالقُرْبِ مِنَ البابِ الأَمامِيِّ لِمَنْزِلِهِ وَحَيّاهُ غريغ ، ثُمَّ قالَ غريغ لِنَفْسِهِ : « إِنَّهُ يُجْري بَعْضَ الإِصْلاحاتِ بِدَرّاجَتِهِ .»

وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ مايك ، دونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَوْ يَبْتَسِمَ .

قالَ غريغ : « لَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ ، هَلْ نِمْتَ أَنْتَ جَيِّداً ؟»

أَجابَ مايك مُتَعَجِّباً مِنْ سُؤالِهِ : « أَجَلْ .»

قالَ غريغ : « لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ . لَمْ يُحاوِلِ القَرينُ إِجْراءَ التَّحْويلِ .»

لَمْ يُعَقِّبْ مايك فَأضافَ غريغ : « مايك هَلْ سَمِعْتَني ؟ ما الأمْرُ ؟ »

رَدَّ مايك بِصَوْتٍ غاضِبٍ : « لا شَيْءَ ، لماذا حَضَرْتَ ؟ ماذا تُريدُ ؟ »

لَمْ يَسْتَطِعْ غريغ أنْ يَجِدَ تَفْسيراً ، فَقالَ مُتَعَجِّباً : « ما الخَطَأُ ؟ أ لا تَتَذَكَّرُ ؟ » ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الكَلامِ ، وَفَجْأةً شَعَرَ بِالبُرودَةِ تَسْري في جَسَدِهِ .

تَطَلَّعَ إلَيْهِ مايك وَقالَ بِصَوْتٍ لا يَزالُ غاضِباً : « ما حِكايَتُكَ ؟ »

لَبِثَ غريغ صامِتاً وَلَمْ يُحِرْ جَواباً .

وَأَرْدَفَ مايك : « تَسْتَطيعُ أنْ تَنْسى القَرينَ ، وَسَتَكونُ عَلى ما يُرامُ . إنَّهُ لا يُريدُ إجْراءَ التَّحْويلِ مَعَكَ ؛ فَأَنْتَ أَصَمٌّ ، وَلِذا فَإنَّهُ سَيَطْلُبُ أنْ يَكونَ شَخْصاً آخَرَ . »

قالَ غريغ بِهُدوءٍ : « هَلْ سَيَفْعَلُ ؟ »

قالَ مايك : « أَجَلْ إنَّهُ سَيَفْعَلُ . » ثُمَّ ابْتَسَمَ ابْتِسامَةً باهِتَةً ، وَلَكِنَّ غريغ كانَ يَعْرِفُ تَماماً ابْتِسامَةَ مايك ؛ فَلَمْ يَكُنْ هَذا الشَّخْصُ هُوَ مايك !

رجل من الماضي

في لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي شَهْرِ فِبْرايِر (شُباط) البارِدَةِ ، وَفي شَمالِ إنْجِلْترا ، كانَ الجَليدُ يُغَطّي طُرُقَ السَّفَرِ الطَّويلَةَ . وَكانَ سام يَقودُ سَيّارَتَه في واحِدٍ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ ، وَهُوَ سائِقٌ ماهِرٌ ، وَلَكِنَّهُ كانَ في شِدَّةِ الإرْهاقِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ مُواصَلَةَ السَّفَرِ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ أنْ أَتَوَقَّفَ عَنْ مُواصَلَةِ السَّفَرِ وأبيتَ اللَّيْلَةَ في فُنْدُقٍ . »

وانْحَرَفَ عَنِ الطَّريقِ الطَّويلِ إلى أَوَّلِ مَمَرٍّ جانِبِيٍّ وَسُرْعانَ ما صارَ في أَزِقَّةِ القَرْيَةِ . وَكانَ الجَليدُ يَكْسو الأَرْضَ وَيُغَطّي الحَشائِشَ وَالأَشْجارَ وَالشُّجَيْراتِ . وَكانَ سام يَقودُ بِبُطْءٍ شَديدٍ بَيْنَ أَشْجارٍ باسِقَةٍ ، في حاراتٍ ضَيِّقَةٍ ، فَتَساءَلَ مُتَعَجِّباً : « تُرى هَلْ أَخْطَأْتُ حينَ غادَرْتُ الطَّريقَ العامَّ ؟ »وَ وَجَدَ فُنْدُقاً يُدْعى « فُنْدُقَ الغابَةِ » ، فَقالَ لِنَفْسِهِ: « يُمْكِنُني المَبيتُ هُنا اللَّيْلَةَ . » وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

الاقْتِرابَ بِسيّارَتِه مِنْ بابِ الفُنْدُقِ لِتَراكُمِ الجَليدِ بِصورَةٍ مُزْعِجَةٍ ، فَفَضَّلَ تَرْكَها تَحْتَ بَعْضِ الأشْجارِ .

تَأمَّلَ الفُنْدُقَ وَقالَ لِنَفْسِهِ مُتَعَجِّبًا : « يا لَهُ مِنْ فُنْدُقٍ عَتيقٍ !» ثُمَّ تَناوَلَ حَقيبَتَهُ مِنَ السَّيّارَةِ وَسارَ نَحْوَ بابِ الفُنْدُقِ .

لَمْ تَكُنْ وَسائِلُ التَّدْفِئَةِ بِالفُنْدُقِ تَعْمَلُ جَيِّداً ، وَرَأى بِجُوارِ المَدْخَلِ رَجُلاً مُسِنًّا يَجْلِسُ إلى مَكْتَبٍ لاسْتِقْبالِ النُّزَلاءِ .

سَألَهُ الرَّجُلُ العَجوزُ : « هَلْ مِنْ خِدْمَةٍ أؤَدّيها لَكَ ؟»

أجابَ سام : « أجَلْ ، أريدُ حُجْرَةً لِلَيْلَةٍ واحِدَةٍ ، مِنْ فَضْلِكَ .»

أحْنى العَجوزُ رَأسَهُ ، وَفَتَحَ دَفْتَراً على المَكْتَبِ وَقالَ لَهُ : « وَقِّعْ مِنْ فَضْلِكَ في دَفْتَرِ النُّزَلاءِ .»

وَقَّعَ سام في سِجِلِّ النُّزَلاءِ بِاسْمِ « سام كراڤن » وَكَتَبَ التّاريخَ أيْضاً : ١ فِبْرايِر (شُباط) ، ثُمَّ قالَ : « هَلْ لي في وَجْبَةٍ سَريعَةٍ ؟»

أعْطى الرَّجُلُ العَجوزُ سام مِفْتاحاً قائِلاً : « الحُجْرَةُ رقم ٩ أعلى الدَّرَجِ ، وَسَيُقَدَّمُ لَكَ الطَّعامُ في قاعَةِ الطَّعامِ .» وَأشارَ إلى بابِها .

شَكَرَهُ سام وَأخَذَ حَقيبَتَهُ إلى حُجْرَتِهِ التي ألْفاها صَغيرَةً مُظْلِمَةً ، وَكانَ الفِراشُ وَكُلُّ مُتَعَلِّقاتِ الحُجْرَةِ مِنَ الطِّرازِ العَتيقِ .

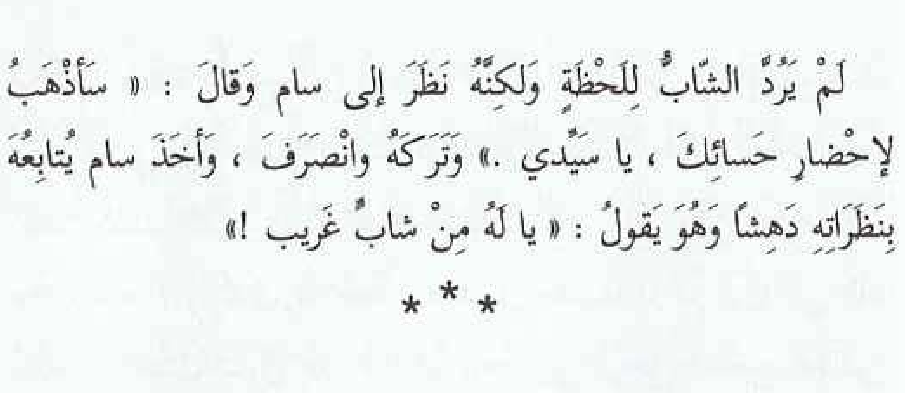
هَبَطَ سام إلى قاعَةِ الطَّعامِ حَيْثُ كانَتِ امْرَأتانِ تَجْلِسانِ في مَكانٍ قَريبٍ مِنَ البابِ ،حَيّاهُما سام فَنَظَرَتا إلَيْهِ مُبْتَسِمَتَيْنِ ، وَلكِنَّ شَيْئاً ما كانَ يَبْدو على شَفَتَيْهِما ؛ إذْ كانَتْ عُيونُهما مُصَوَّبَةً على مَلابِسِهِ ، كَما نَظَرَ سام إلى مَلابِسِهِما أيْضاً ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « كانَتْ أمّي تَرْتَدي مِثْلَ هَذِهِ المَلابِسِ مُنْذُ أرْبَعينَ سَنَةً !»

وَكانَتْ ثَمَّةَ مِدْفَأةٌ مُوقَدَةٌ في أحَدِ أرْكانِ القاعَةِ تَبْعَثُ على الدِّفْءِ ، فَجَلَسَ سام إلى مائِدَةٍ قَريبَةٍ مِنْها وَقالَ لِنَفْسِهِ : « رُبَّما أجِدُ بَعْضَ الدِّفْءِ هُنا ، فالفُنْدُقُ نَفْسُهُ لَيْسَ مَكاناً دافِئاً .»

وَجاءَ إلَيْهِ شابٌّ في ثِيابِ السُّقاةِ ، لَهُ شَعْرٌ أسْوَدُ وَشارِبٌ كَثيفٌ مِنَ الطِّرازِ القَديمِ . حَيّاهُ وَ وَضَعَ نَفْسَهُ في خِدْمَتِهِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ سام حَساءً ساخِناً قائِلاً : « إنَّها لَيْلَةٌ شَديدَةُ البُرودَةِ .» وَسَألَهُ الشّابُّ عَمّا إذا كانَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ طَويلٍ فَأجابَهُ سام : « إنّي قادِمٌ مِنْ بريستول وَلكِنَّني فَضَّلْتُ قَضاءَ اللَّيْلِ هُنا ؛ لأنَّ طَريقَ السَّيّاراتِ فيهِ خُطورَةٌ بِسَبَبِ تَراكُمِ الجَليدِ .»

قالَ الشّابُّ مُتَعَجِّباً : « طَريقُ السَّيّاراتِ ؟»

دَهِشَ سام لِهَذا السُّؤالِ وَقالَ : « نَعَمْ ! طَريقُ السَّيّاراتِ ، أ لا تَعْرِفُهُ ؟»



لَمْ يَرُدَّ الشّابُّ لِلَحْظَةٍ ولكِنَّهُ نَظَرَ إلى سام وَقالَ : « سَأَذْهَبُ لإحْضارِ حَسائِكَ ، يا سَيِّدي .» وَتَرَكَهُ وانْصَرَفَ ، وَأَخَذَ سام يُتابِعُهُ بِنَظَراتِهِ دَهِشاً وَهُوَ يَقولُ : « يا لَهُ مِنْ شابٍّ غَريبٍ ! »

* * *

فَرَغَ سام مِنْ تَناوُلِ طَعامِهِ ، وَقامَ إلى قاعَةِ الاسْتِراحَةِ حَيْثُ جَلَسَ بِجُوارِ المِدْفَأَةِ ، قَريباً مِنْ مِنْضَدَةٍ وُضِعَتْ عَلَيْها مَجَلَّةٌ ، وَأَخَذَ يُقَلِّبُ صَفَحاتِها ، فَلاحَظَ أَنَّها تَحْتَوي عَلى مَوْضوعاتٍ قَديمَةٍ ، وَتُشيرُ إلى أَحْداثٍ ماضِيَةٍ ، وَتَتَحَدَّثُ عَنْ شَخْصِيّاتٍ فاتَ عَصْرُها ، فَطَوى المَجَلَّةَ ، وَنَظَرَ إلى التّاريخِ المَوْجودِ عَلى غِلافِها ، فَوَجَدَهُ (فِبْرايِر ١٩٤٧) .

قالَ لِنَفْسِهِ : « لَقَدِ انْقَضى أَكْثَرُ مِنْ خَمْسٍ وَثَلاثينَ سَنَةً !» وَنَظَرَ عَبْرَ القاعَةِ فَوَجَدَ مَجَلاتٍ عَديدَةً مُتَناثِرَةً على بَعْضِ المَوائِدِ الأُخْرى فَأَجالَ بَصَرَهُ فيها فَوَجَدَ تَواريخَها : ديسمبر ١٩٤٦ ، يَنايِر ١٩٤٧ ، فِبْرايِر ١٩٤٧ .

* * *

غادَرَ سام القاعَةَ وَصَعِدَ إلى غُرْفَتِهِ مُتَعَجِّباً مِنْ تَصَرُّفاتِ المَسْئولينَ عَنْ إدارَةِ الفُنْدُقِ لِعَدَمِ اهْتِمامِهِمْ بِالمَجَلّاتِ الحَديثَةِ ،

مُكْتَفِين بِهَذِهِ النُّسَخِ الَّتِي انْقَضَى عَصْرُها . وَانْدَسَّ في فِراشِهِ وَلكِنَّهُ لَمْ يَغُطَّ في نَوْمٍ عَميقٍ ؛ فَقَدْ كانَ فِكْرُهُ مَشْغولاً بِتَفْسيرِ ما شاهَدَهُ ، كَما كانَتِ الغُرْفَةُ بارِدَةً . وَما كادَ الصُّبْحُ يَنْبَلِجُ حَتَّى انْتَزَعَ نَفْسَهُ مِنْ فِراشِهِ ، وَارْتَدى مَلابِسَهُ ، وَحَمَلَ حَقيبَتَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلى قاعَةِ الطَّعامِ ، حَيْثُ تَناوَلَ إِفْطارَهُ . ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى الرَّجُلِ العَجوزِ الجالِسِ في اسْتِقْبالِ النُّزَلاءِ ، وَأَبْلَغَهُ بِأَنَّهُ يَعْمَلُ لَدى شَرِكَةِ طَيَرانِ بريستول ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُرْسِلَ قائِمَةَ الحِسابِ إِلى هَذِهِ الشَّرِكَةِ ، وَأَخْرَجَ بِطاقَتَهُ وَناوَلَها لِلرَّجُلِ الَّذي قَرَأَها ثُمَّ أَعادَها إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَقولُ : « حَسَنٌ يا سَيِّدي .» ثُمَّ قَدَّمَ إِلَيْهِ قائِمَةَ الحِسابِ لِلتَّوْقيعِ عَلَيْها ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِدونِ أَنْ يَنْظُرَ إِلى المُدَوَّنِ بِها ، وَحَمَلَ حَقيبَتَهُ وَخَرَجَ مُتَّجِهاً إِلى سَيّارَتِهِ ، وَكانَ الجَليدُ لا يَزالُ يَكْسو الأَرْضَ . وَأَلْقى سام نَظْرَةً عَلى مَبْنى الفُنْدُقِ وَهُوَ يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ : « لَنْ أَعودَ مَرَّةً أُخْرى إِلى هَذا المَكانِ العَجيبِ .»

* * *

مَرَّتِ الأَيّامُ وَحَلَّ شَهْرُ مارِس (آذار) ، وَأَنْهى سام عَمَلَهُ الَّذي كانَ يَقومُ بِهِ في شَمالِ إِنْجِلْترا . وَكانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ رِحْلَةَ العَوْدَةِ إِلى بريستول . وَفي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَكانَ الظَّلامُ سائِداً، أَحَسَّ سام أَثْناءَ سَيْرِهِ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ إِلى الرّاحَةِ ، فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ

فُنْدُقٍ يَبيتُ فيهِ سَوادَ لَيْلِهِ . وَدَخَلَ بِسَيّارَتِهِ أَوَّلَ مَمَرٍّ جانِبِيٍّ صادَفَهُ فَوَجَدَ نَفْسَهُ قُبالَةَ الفُنْدُقِ الَّذي نَزَلَ بِهِ في المَرَّةِ السّابِقَةِ . وَتَأَكَّدَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ اللّافِتَةِ الَّتي كانَ مَكْتوباً عَلَيْها « فُنْدُقُ الغابَةِ » ، فَشَعَرَ بِبَعْضِ الضّيقِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَنْ أَبيتَ في هَذا المَكانِ العَجيبِ مَرَّةً أُخْرى !» ثُمَّ أَدارَ مُحَرِّكَ سَيّارَتِهِ وَقادَها مُتَباطِئاً ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ أَمامَ فُنْدُقٍ حَديثِ البِناءِ ، شُيِّدَ في مَكانٍ فَسيحٍ ، وَأَمامَهُ ساحَةٌ أُعِدَّتْ مَوْقِفاً لِلسَّيّاراتِ ، فَتَرَكَ سَيّارَتَهُ بِها ، ثُمَّ سارَ إِلى مَدْخَلِ الفُنْدُقِ الَّذي كانَ عَلَيْهِ لافِتَةٌ مَكْتوبٌ عَلَيْها « فُنْدُقُ الغابَةِ » ؛ فَتَعَجَّبَ سام أَنْ يَحْمِلَ فُنْدُقانِ في مَكانٍ واحِدٍ اسْماً واحِداً ، وَلكِنَّهُ قالَ لِنَفْسِهِ : « وَلكِنَّ هَذا الفُنْدُقَ مُخْتَلِفٌ عَنِ الآخَرِ . إِنَّهُ أَضْخَمُ وَأَحْدَثُ .»

وَكانَ ثَمَّةَ مَكْتَبٌ في المَدْخَلِ ، تَجْلِسُ خَلْفَهُ شابَّةٌ لاسْتِقْبالِ النُّزَلاءِ ، رَحَّبَتْ بِهِ قائِلَةً : « طابَ مَساؤُكَ ، يا سَيِّدي . هَلْ تَحْتاجُ إِلى غُرْفَةٍ أَمْ جِئْتَ لِتَناوُلِ وَجْبَةِ طَعامٍ ؟»

أَجابَ : « أَحْتاجُ إِلى حُجْرَةٍ ، كَما أَوَدُّ عَشاءً أَيْضاً .»

دَقَّتِ الفَتاةُ جَرَساً فَجاءَ رَجُلٌ مِنْ غُرْفَةٍ خَلْفِيَّةٍ ، وَقالَتْ لَهُ : « احْمِلْ ، يا جورج ، حَقيبَةَ السَّيِّدِ لأَعْلى ، إِلى الغُرْفَةِ رَقْمِ ٩ ، ثُمَّ أَرْشِدْهُ إِلى قاعَةِ الطَّعامِ لِيَتَناوَلَ عَشاءَهُ .»

ابْتَسَمَ جورج لِسام وَتَناوَلَ حَقيبَتَهُ .

قالَتِ الفَتاةُ : « أ تَسمَحُ بِالتَّوقيعِ في سِجلِّ النُّزلاءِ ؟»

وَقَّعَ سام في السِّجلِّ ثُمَّ تَوجَّهَ إلى غُرفَةِ الطَّعامِ ، ولَمْ تكنْ تُشبِهُ مَثيلَتَها في الفُنْدُقِ الآخرِ ، بلْ كانَتْ أضْخَمَ وأكثرَ دِفْئًا . وكانَ ثمَّةَ عَدَدٌ كبيرٌ مِنَ النُّزلاءِ . وَجلَسَ سام إلى مائِدَةٍ خالِيَةٍ ، وجاءَهُ صَوْتٌ مِن خَلفِهِ يَقولُ : « طابَ مَساؤكَ ، يا سيِّدي . هلْ تَوَدُّ قائِمةَ الطَّعامِ ؟» فاستَدارَ سام سَريعًا ، فَوجَدَ أمامَهُ خادِمًا . إنَّهُ نادِلُ « فُنْدُقِ الغابَةِ » الآخَرُ أوْ يُشبِهُهُ ، وكانَ ذا شَعْرٍ أسْوَدَ ، ولكنَّهُ بِغَيرِ شارِبٍ .

نَظَرَ سام في قائِمَةِ الطَّعامِ ثُمَّ قالَ : « أوَدُّ بَعْضَ الحَساءِ .»

قالَ الخادِمُ : « سَمْعًا وَطاعَةً ، يا سيِّدي .»

سَأَلَهُ سام : « أ لَمْ أرَكَ قَبْلَ الآنِ ؟ أ لَمْ تَكُنْ تَعمَلُ في « فُنْدُقِ الغابَةِ » الآخَرِ الَّذي يَقَعُ قَريبًا مِنْ هُنا ؟»

دَهِشَ الخادِمُ دَهْشَةً بالِغَةً لِسَماعِهِ هذا ، وَنَظَرَ إلى سام نَظْرَةً غَريبَةً .

تَساءَلَ سام في نَفْسِهِ مُتَعَجِّبًا : « تُرى هَلْ يَتذَكَّرُني ؟»

قالَ الخادِمُ : « لَيسَ ثَمَّةَ فُنْدُقُ غابَةٍ آخرُ ، يا سيِّدي .» ثُمَّ انْصَرَفَ مُبْتَعِدًا .

كانَتِ الوَجْبَةُ طَيِّبَةً لِلغايَةِ ، وانْتَقَلَ بَعْدَها سام إلى اسْتِراحَةِ الفُنْدُقِ ، الَّتي كانَتْ تَحْوي عَديدًا مِنَ الصُّحُفِ وَالمَجلاتِ المُتَناثِرَةِ في أرْجائِها . وَأَخَذَ سام يَتَفَحَّصُها ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّها لا تَعودُ إلى الوَراءِ خَمْسَةً وَثَلاثين عامًا !»

صَعِدَ سام إلى حُجْرَتِهِ وَنامَ نَوْمًا هادِئًا في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ إذْ كانَ الفِراشُ وَالغُرْفَةُ دافِئَيْنِ . وَفي الصَّباحِ المُبَكِّرِ ، هَبَطَ إلى غُرْفَةِ الطَّعامِ ، وَكانَ بِها بَعْضُ الصُّوَرِ وَالمَناظِرِ المُعَلَّقَةِ عَلى الحائِطِ ، فَطَفِقَ يَنْظُرُ إلَيْها ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ إحْداها وَأَخَذَ يُحَدِّقُ إلَيْها بِاهْتِمام وَقَدِ انْتابَتْهُ الدَّهْشَةُ ؛ إذْ كانَتْ صورَةً لِفُنْدُقِ الغابَةِ الآخَرِ .

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أحَدٌ بِغُرْفَةِ الطَّعامِ ، فَتَوَجَّهَ سام إلى فَتاةِ الاسْتِقْبالِ ، وَقالَ لَها : « هَلْ يُمكِنُ أنْ تَتَفَضَّلي بِالمَجيءِ مَعي لِغُرْفَةِ الطَّعامِ لِلَحْظَةٍ واحِدَةٍ ؟» فَدَهِشَتِ الفَتاةُ وَلكِنَّها رافَقَتْهُ ، فَأراها الصُّورَةَ قائِلاً : « أ لَيْسَتْ هذِهِ صورَةَ فُنْدُقِ الغابَةِ الآخَرِ ؟»

قالَتْ : « هَذا صَحيحٌ ، وَلكِنّي بِالطَّبْعِ لَمْ أرَهُ قَطُّ ، وَلكِنَّ أبي يَتَذَكَّرُهُ ؛ فَقَدْ كانَ لا يَزالُ صَبِيًّا .»

عَقَّبَ سام بِدَهْشَةٍ : « كانَ والِدُكِ صَبِيًّا ؟ أنا لا أفْهَمُ !»

نَظَرَتْ إلَيْهِ الفَتاةُ وَقالَتْ : « بِالطَّبْعِ أنْتَ لا تَعلَمُ ، فَقَدِ احْتَرَقَ

فُنْدُقُ الغابَةِ القَديمُ عَنْ آخِرِهِ مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةٍ وثلاثين عاماً ، وَكُلُّ مَنْ كانوا بِالفُنْدُقِ ماتوا مُحْتَرِقين . لَقَدْ حَدَثَ هذا في فِبْرايِرِ ١٩٤٧ ، وَبِالتَّحْديدِ في اليَوْمِ العاشِرِ مِنْ فِبْرايِر ١٩٤٧ .»

تساءَلَ سام : « ١٩٤٧ ؟»

أوْمأتِ الفَتاةُ بِرأسِها ، وأرْدَفَتْ قائِلَةً : « ثُمَّ أنْشَئوا هَذا الفُنْدُقَ في المكانِ القَديمِ نَفْسِهِ ، وَسَمَّوْهُ بِالاسْمِ نَفْسِهِ «« فُنْدُق الغابَة »» .»

تَأمَّلَ سام الصورَةَ مُتَعَجِّباً وَقالَ : « هَذا صَحيحٌ ؟ وَلكِنّي أقَمْتُ بِهَذا الفُنْدُقِ في الشَّهْرِ الماضي . أ تُراني لَمْ أفْعَلْ ؟» ثُمَّ سَأَلَ الفَتاةَ : « أ لَمْ يُنْقِذوا أحَداً ؟»

أجابَتْ : « قالَ والِدي إنَّهُ لَمْ يُنْقَذْ أحَدٌ ، وَإنَّما تَمَّ إنْقاذُ بَعْضِ الأشْياءِ ، مِثْلِ الكُتُبِ وَما إلى ذَلِكَ ، وَلا نَزالُ نَحْتَفِظُ بِسِجِلِّ الزُّوّارِ القَديمِ .»

اسْتَدارَ سام في عَجَلَةٍ سائِلاً : « هَلْ أسْتَطيعُ إلْقاءَ نَظْرَةٍ عَلى سِجِلِّ الزُّوّارِ ؟»

دَهِشَتِ الفَتاةُ ، وَلكِنَّها قالَتْ مُتَلَعْثِمَةً : « بِالطَّبْعِ يُمْكِنُكَ رُؤْيَتُهُ .»

وَعادا إلى المَكْتَبِ ، وَعَرَّجَتِ الفَتاةُ عَلى الغُرْفَةِ الخَلْفِيَّةِ ،

وَرَجَعَتْ مِنْها وَبِيَدِها سِجِلٌّ وَضَعَتْهُ عَلى المَكْتَبِ ، وَكانَتْ بِهِ بَعْضُ آثارِ الاحْتِراقِ . وَقَلَّبَ سام بَعْضَ الصَّفَحاتِ ، وَكانَ عَلى إحْداها : سام كْراڤِنْ ١ فِبْرايِر .

وَنَظَرَ إلى التّاريخِ المُدَوَّنِ أعْلى الصَّفْحَةِ فَوَجَدَهُ يُشيرُ إلى عامِ ١٩٤٧ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « إنّي لَمْ أنْظُرْ لِهَذِهِ الخانَةِ مِنْ قَبْلُ .» وَأغْلَقَ السِّجِلَّ وأعادَهُ إلى الفَتاةِ وَشَكَرَها .

سَألَتْهُ : « هَلْ تَوَدُّ تَناوُلَ إفْطارِكَ الآنَ ؟ إنَّ روجر هُناكَ .» وأشارَتْ إلى غُرْفَةِ الطَّعامِ .

سَألَ سام : « روجر ؟»

أجابَتْ :« الخادِمُ .»

التَفَتَ سام فَرأى روجر في غُرْفَةِ الطَّعامِ ، فَسَألَها : « هَلْ يَعْمَلُ روجر بِهَذا الفُنْدُقِ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ ؟»

أجابَتِ الفَتاةُ : « أجَلْ ، وَلكِنْ لا يُعْرَفُ الكَثيرُ عَنْهُ . إنَّهُ رَجُلٌ غَريبٌ .»

تَعَجَّبَ سام مِنْ قَوْلِها ، وَلكِنَّها أضافَتْ : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي ، لَقَدْ جاءَ لِيَعْمَلَ مُنْذُ وَقْتٍ قَريبٍ . إنَّهُ رَغْمَ حَداثَتِهِ فَهُوَ خادِمٌ مُمْتازٌ.

إِنَّهُ يَعْمَلُ بِخِبْرَةِ رَجُلٍ كَبيرِ السِّنِّ رَغْمَ كَوْنِهِ شابًّا .»

سأَلَها سام : « هَلْ يُقيمُ في الفُنْدُقِ ؟»

« أَجَلْ ، وَلكِنَّهُ يَذْهَبُ في عُطْلَةٍ سَنَوِيَّةٍ في فِبْرايِر مِنْ كُلِّ عامٍ ، هُوَ تَوْقيتٌ غَريبٌ .»

« فِبْرايِر ؟»

« نَعَمْ ، سَنَوِيًّا .»

ظَلَّ سام صامِتًا هُنَيْهَةً ، ثُمَّ سأَلَها : « مِنْ أَيْنَ شَبَّ حَريقُ الفُنْدُقِ القَديمِ ؟»

أَجابَتْ : « مِنْ غُرْفَةٍ خَلْفِيَّةٍ ، كَما يَقولونَ . مِنْ غُرْفَةِ أَحَدِ الخَدَمِ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهُ غَطَّ في النَّوْمِ والسِّيجارَةُ مُشْتَعِلَةٌ بَيْنَ أَصابِعِهِ ، كَما يَقولُ والِدي . وَفي الحَقيقَةِ لا أَحَدَ يَعْرِفُ عَلى وَجْهِ الدِّقَّةِ . وَماتَ الخادِمُ في الحَريقِ ، هذا ما يَرْوونَهُ .»

* * *

انْتَقَلَ سام إِلى حُجْرَةِ الطَّعامِ ، فاسْتَقْبَلَهُ الخادِمُ قائِلاً : « طابَ صَباحُكَ ، يا سَيِّدي .»

رَدَّ سام : « طابَ صَباحُكَ ، يا روجر .»

« هَلْ تَرْغَبُ في تَناوُلِ إِفْطارِكَ ، يا سَيِّدي ؟»

« أَجَلْ ، مِنْ فَضْلِكَ .»

تَحَرَّكَ الخادِمُ بَعيدًا ، وَراقَبَ سام تَحَرُّكاتِهِ ، وَهَمَسَ لِنَفْسِهِ : « ما الَّذي حَدَثَ لي في الشَّهْرِ الماضي ؟ إِنَّهُ شَيْءٌ جِدُّ عَجيبٍ ! هَلْ رَجَعْتُ إِلى الخَلْفِ .. إِلى زَمَنٍ مَضى ؟ أَ حَقًّا رَجَعْتُ إِلى الماضي خَمْسًا وَثَلاثينَ سَنَةً ، ثُمَّ رَجَعْتُ لأَبْعَدَ مِنْ ذلِكَ وَأَنا عَلى قَيْدِ الحَياةِ – تِسْعَةَ أَيّامٍ أُخْرى قَبْلَ الحَريقِ ؟» وَنَظَرَ ثانِيَةً نَحْوَ روجر وَقالَ مُتَعَجِّبًا : « وَماذا عَنْهُ ؟ إِنَّهُ لا يَبْلُغُ الثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ ! وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ يَكُنْ قَدْ وُلِدَ بَعْدُ في زَمَنِ الحَريقِ . وَلكِنَّني رَأَيْتُهُ في الفُنْدُقِ قَبْلَ الحَريقِ . هَلْ هُوَ رَجُلٌ مِنْ زَمَنٍ آخَرَ ؟ هَلْ هُوَ رَجُلٌ مِنَ الماضي ؟» ثُمَّ تَذَكَّرَ سام كَلِماتِ الفَتاةِ : « لا أَحَدَ يَعْرِفُ الكَثيرَ عَنْهُ . إِنَّهُ رَجُلٌ غَريبٌ . وَماذا عَنْ عُطْلَتِهِ السَّنَوِيَّةِ في فِبْرايِر ؟ هَلْ يَرْجِعُ القَهْقَرى إِلى الخَلْفِ ، إِلى عامِ ١٩٤٧ ؟ لِماذا ؟ هَلْ هُوَ مُجْبَرٌ عَلى هذا ؟ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّصْ قَطُّ مِنَ الماضي ؟ وَلكِنْ لِماذا لَمْ يَسْتَطِعِ الهُروبَ مِنَ الماضي ؟» وَهُنا تَذَكَّرَ سام شَيْئًا آخَرَ .

* * *

عادَ روجر حامِلاً القَهْوَةَ إِلَيْهِ وَقَدْ وُضِعَتْ عَلى صينِيَّةٍ .

نَظَرَ إِلَيْهِ سام قائِلاً : « لَقَدْ بَرْهَنْتَ ، يا روجر ، عَلى أَنَّكَ مُضيفٌ مُمْتازٌ ، وَأُريدُ أَنْ أُكافِئَكَ عَلى ذَلِكَ .» وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ بِعُلْبَةِ سَجائِرَ قائِلاً : « هَذِهِ لَكَ ، يا روجر .»

بُهِتَ روجر وَسَقَطَتْ مِنْهُ الصِّينِيَّةُ عَلى الأَرْضِ فَتَحَطَّمَتْ ، وَقالَ بِعَصَبِيَّةٍ : « أَنا ، أَنا لا أُدَخِّنُ !» وَانْفَلَتَ بَعيداً عَنْ سام وَعَيْناهُ مُثَبَّتَتانِ عَلى عُلْبَةِ السَّجائِرِ ، وَهُوَ يَصيحُ : « أَنا لا أُدَخِّنُ الآنَ ، هَلْ تَسْمَعُني ؟ أَنا لا أُدَخِّنُ الآنَ !» ثُمَّ انْسَحَبَ مِنَ الغُرْفَةِ سَريعاً .

* * *

وَلَمْ يَعُدْ سام قَطُّ إِلى فُنْدُقِ الغابَةِ مَرَّةً أُخْرى ؛ فَهُوَ لا يُريدُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الوَراءِ – إِلى الماضي ثانِيَةً ، حَتّى لا يُصْبِحَ مِثْلَ روجر الَّذي لا يَسْتَطيعُ الفِرارَ مِنْهُ .

المغامرات المثيرة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198225